الميزان الذهبي

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين-العدد التاسع عشر(آذار - نيسان ٢٠١٧)

بنور الخير

ميزان السّماء و ميزان الأرض

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}

(الأنبياء: ٤٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة القرآء:

ليس غريبًا أن نرى أمثال أبي جهل وأبي لهب في زماننا هذا يُسيئون إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فالسارق إنما يحرص دائمًا على سرقة دكان الذهب، والشجرة المثمرة هي ما تُرمَى بالحجارة.

لقد بحثَ أرباب الجهل في الماضي والحاضر في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام وشخصيته ونقَّبوا في أدق تفاصيلها، لكنهم لم يجدوا فيها شيئاً ينتقدونه أو يطعنون فيه، فلم يبقَ لهم سبيلٌ إلا الكذب والافتراء. وسيستمر الصراع بين الحق والباطل على هذه الصورة إلى قيام الساعة.

والتاريخ مسرح للمشاهد ذاتها، حتى لو تغيرت الأدوار، فعاقبة أتباع أبي جهل وأبي لهب الذين آذوا رسول الله عليه الصلاة والسلام وأساؤوا إليه لا تختلف عن عاقبة أتباع الظالم نمرود وفرعون الذين كذَّبوا سيدنا إبراهيم وموسى عليهما السلام قبل آلاف السنين؛ وكذلك ستكون عاقبة أعداء الله ﷻ في المستقبل.

لكن السؤال الذي ينبغي أن نسأله هنا:

ما الذي يقع على عاتقنا نحن- الأمة المحمدية- أمام هذه الافتراءات؟ إن هؤلاء المسيئين يريدون بإساءاتهم حجب حقيقة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويريدون بكل هذه لفوضى أن يُصِمُّوا الناس عن سماع حقائق القرآن، ويريدون بخبث ما يرسمونه أن يحجبوا العيون عن نور ذلك السراج المبين.

فالواجب علينا أن نعرض للناس شخصية رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأخلاقه الفريدة بأحوالنا وأقوالنا وحياتنا على أفضل صورة.

كلمة التحرير

الميزان الذهبي

مجلة تصدركل شهرين

العدد التاسع عشر

(آذار– نيسان ٢٠١٧)

رئيس التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

إدارة المجلة.

Organize Sanayi

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

دار النشر والطباعة

Erkam Matbaasi Organize Sanayi.

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

المحتويات

ميزان السماء وميزان الأرض

د.آدم أركول

قدواتنا ليس ضرباً من الخيال

نور الدين يلدز

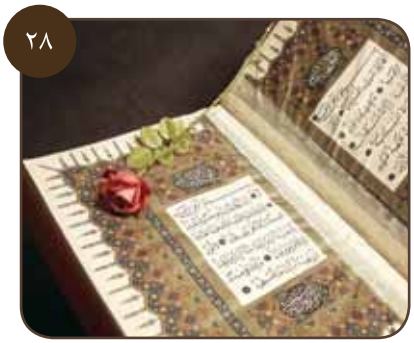

حكم من أولياء الله -٢-

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

المنهج العقلي للقرآن الكريم

إبراهيم أرباجي

افتتاحية العدد	١	الحساب	٣٤
ميزان السماء وميزان الأرض	٣	الربا	٣٥
سنحاسب جميعاً عاجلاً أم آجلاً	٦	انتبه للأدب	٣٦
رعاية الأمانة	١٠	أولوياتنا وأدبيادتنا	٣٨
فضل الاستغفار	١٤	نحبه حباً جماً	٤٠
قدواتنا ليست ضرباً من الخيال	١٦	أمانة الحزن	٤٢
الصد عن سبيل الله ﷻ	١٩	المنهج العقلي للقرآن الكريم	٤٥
جذور حيويتنا	٢٢	أيـــــــن؟	٤٨
الثقة بالله ﷻ الرضا بقدره	٢٤	طاعة رسول الله على ضوء الآيات القرآنية	٥١
أنواع الرويا	٢٧	حبيب المخلوقات	٥٢
حِكَمٌ من أولياء الله -٢-	٢٨	هل ندرك قيمة الكنز الذي في بيوتنا؟	٥٤
		المجنون وعلاج القلب	٥٦

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

ميزان السّماء و ميزان الأرض

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٨ – ٩)

الدكتور: آدم أركول

يفسر بعض علماء التفسير كلمة "التقوى" على أنها: "الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى". ولا شك أن شعور الإنسان بأنه سوف يُحاسَب أمام الله تعالى يوم القيامة عن كل عمل، أو تفكير، أو نية أقدم عليها، سيجعله منضبطاً في حياته ويعمل بحزم وجد. وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا" (انظر الترمذي: القيامة، ٢٥/ ٢٤٥٩) تحذيرٌ بليغ وتنبيه شديد ليتدارك العبد نفسه بالانضباط والتنظيم والالتزام في هذه الدنيا، كي لا يُعرِّض نفسه للخسران المبين يوم الحساب العظيم بين يدي الله الحق سبحانه وتعالى.

ويبيِّن القرآن الكريم للناس كافة بصروة صريحة بأن الناس جميعاً بما فيهم الأنبياء والرسل سوف يُحشَرون للحساب يوم القيامة، ويُسأَلون عما قدموا من عمل في الدنيا. (انظر الأعراف: ٦)

ويُذكِّر القرآن الكريم أيضاً بضرورة ثقل كفة الحسنات وأعمال الخير في ذلك الميزان الإلهي من أجل تجنب اسوداد الوجه أمام الحق سبحانه وتعالى، وعدم التعرض للخزي والخذلان، فيقول:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٨ – ٩)

فما هو هذا الميزان الذي سيُوضَع ذلك اليوم؟ وما وحدة الوزن؟

لا ريب أننا لا نستطيع معرفة ماهية هذا الميزان بكل جوانبه، ومع ذلك فإننا نرى اليوم نتيجةً للتطور التكنولوجي الهائل بأن الكثير من الأشياء التي لم يكن يتخيَّل الإنسانُ قياسها في الماضي قد أصبحت قابلة للوزن والقياس.

فقد ظهرت مئات وربما آلاف الأنواع من معايير القياس والحساب مثل قياس درجات الحرارة والبرودة، ومستويات الرطوبة، ودرجة الزلازل، وقيم الدم وأنواعه، ومستويات الطاقة والقوة، وقياسات السرعة، وقياس السعرات الحرارية وغيرها الكثير.

فهذه الأشكال والأنواع كافة تُظهِر لنا بكل وضوح إمكانية وزن الأفعال والأحوال والقيم المعنوية مثل الإيمان، والعمل، والإخلاص،والثواب، والذنب، والطاعة، والعصيان في الميزان الدقيق الذي سوف يضعه الله تعالى للناس يوم القيامة.

إننا في هذه المقالة سوف نركز على الإشارة إلى الفرق بين مقياسنا البشري والمقياس الإلهي، وإلى ضرورة أن تكون أسس التقييم وفقاً لذلك الفرق بدل التركيز على بيان ماهية ذلك الميزان.

فما الفرق بين الميزان الأرضي والميزان السماوي؟

وبعبارة أخرى ما طبيعة التغير الذي تُظهِره مقاييس الميزان البشري، ومقاييس الميزان الإلهي؟

وكيف هي معايير التقييم في الميزان البشري؟

وكيف هي في ميزان الحق سبحانه وتعالى؟

ما مقياس القيمة في ترتيب الأعمال الكبيرة والصغيرة؟

ووفق أي شيءٍ يتم ترتيب الذنوب أو الطاعات في نظرنا وفي نظر الحق سبحانه وتعالى؟

وهل المسائل التي جعلناها مشروعة في قلوبنا ونفوسنا وأصبغنا عليها صبغة الحق، سوف تعطي نتائج متطابقة لتقييمنا في ميزان الله تعالى؟

أو كما يقول أحد العارفين:

"هل نجري حساباتنا الدنيوية بقبَّان الحطاب أم بميزان صائغ الذهب؟".

الأسئلة كثيرة ومتنوعة، وأما الإجابات فإنها سوف تعرض اختلافات متناسبة طرداً مع مستوى إيماننا، ودرجة التقوى لدينا، ونضج قلوبنا، وشعورنا بالمسؤولية.

أجل، تُحدَّد قيمة الإنسان في الميزان الأرضي وفقاً لأمور دنيوية كثيرة مثل المال والمُلك، والمقام والمكانة الاجتماعية، والشهرة، والقوة والسلطة، والجمال الشكلي وغيرها، لكن هذه الأمور الدنيوية إن لم تُستَعمل لوجه الله تعالى، فلن يكون لها أي وزن أو قيمة في الميزان السماوي. وإن لم يكن لها قيمة في ميزان الله، فإنها بدلاً من أن توضع في كفة الحسنات، ستكون أثقالاً في كفة السيئات لتصبح وبالاً على صاحبها.

إن مقياس قيمة الإنسان في الميزان السماوي هو الإيمان والتقوى. إنه مقياس جمال القلب وحسن الأخلاق والعمل، مقياس الشرف والكرامة، وليس مقياس جمال الصورة والمظهر. ليست كثرة الأعمال البعيدة عن الإخلاص هي ما يؤثر في كفة حسنات

يوضع الميزان
يوم القيامة – وهو ميزان
عظيم لا يقدر قدره إلا الله تعالى–
لوزن أعمال العباد، قال القرطبي :
(فإذا انقضى الحساب كان بعده
وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء،
فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن
المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن
لإظهار مقاديرها ليكون
الجزاء بحسبها)

ذلك الميزان، وإنما ما يكون مؤثراً فيها هو الأعمال التي يصاحبها الإخلاص والصدق حتى وإن كانت قليلة. فما أكثر الأعمال التي تبدو حقيرة في الدنيا والتي ستكون ثقيلة في الميزان، وما أكثر الأعمال التي تبدو عظيمة في الدنيا والتي سوف تُحبَط وتذهب هباءً منثوراً في الميزان يوم القيامة، وذلك انطلاقاً من حسن النية أو سوئها.

لقد أعانَ الله ﷻ عبادَه في أمر محاسبة النفس وفقاً لمقياس الميزان الأخروي، وليس مقياس الهوى، فقد أرسل إليهم مُعينَين عظيمَين في هذا الشأن. الأول: الأُسُس المبيَّنة في القرآن والسنة، والآخر: القلوب التي لم تُصَبْ بالعمى والضلال نتيجة الذنوب والمعاصي. ذلك أن مؤشِّر الميزان السماوي يلامس القلب، فالأساس فيه ما يجول في هذا القلب، ومثال ذلك القلق الذي لا يهدأ ولا يستكين عند القيام بعمل ما يشعر صاحبه بأنه مريب على الرغم من صدور الفتاوى، وعلى الرغم من المبررات التي تسوقها النفس.

فهذا ما جاء به التحذير الإلهي الذي يحتوي أيضاً على مرآة المحاسبة الحقيقية، فالإنسان الذي ينظر إلى المرآة ويواجه نفسه بصدق لا ينخدع.

ويلفت ربنا ﷻ النظر إلى هذه الحقيقة بقوله:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ١٤ – ١٥)

إن ميزان السماء ميزان عظيم الدِّقَّة، لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا ويخضعها للوزن ويحوِّلها إلى قيمة. انظروا إلى هذه الآية القرآنية الكريمة التي تقشعر منها الأبدان، وترتجف لوقعها القلوب:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

فينبغي عدم الاستخفاف بأي طاعة أو معصية مهما بدت صغيرة، إذ ما أكثر الكبائر التي تبدو حقيرة في نظرنا. والحديث النبوي الشريف الآتي مليء بالعِظة والعِبرة: فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:

"حُوسِبَ رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيءٌ. إلا أنه كان يخالط الناس، وكان مُوسِراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. فقال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه" (مسلم: المساقاة، ٣٠)

وروى أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه" (الموطأ: الكلام، ٥؛ الترمذي: الزهد، ١٢)

وأخيراً، فقد قال رسول الله ﷺ:

"من نُوقِش الحساب يوم القيامة عُذِّب" (انظر البخاري: الرقاق، ٤٩؛ مسلم: الجنة، ٧٩)

فليس لنا من شيء نتمسك به سوى التضرع إلى ربنا الرحيم بعباده، والعفو عنهم، والتذلل على أعتابه بأن يُخفف عنا الحساب يوم القيامة، أو أن يجعلنا من عباده الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

سنُحاسب جميعاً عاجلاً أم آجلاً

سنعيش في هذه الدنيا، وستُوزَن أعمالنا في الآخرة. والوزن يومئذ سيكون بين يدي الله عز وجل. هنالك سيوضع سجل حياتنا في ذلك الميزان، وعندها تظهر أدق التفاصيل.

أحمد طاش غاتيران

هَبْ أنك كنت تعاني من ضيق تنفس أثناء النوم منذ حين، وعندما تصعد السلالم يضيق صدرك عند أول خطوتين أو ثلاث، وكنت تتعرض للدوار في الرأس بين الحين والآخر، فذهبت إلى أحد الأطباء، فطلب منك إجراء بضع تحاليل، ثم أوصاك بمراجعة طبيب مختص بالتغذية.

ذهبت إلى طبيب التغذية، فأخرج طبيب التغذية ميزاناً، وكان ذاك الميزان ليس كالموازين العادية، وإنما آلة وزن وكشف وفحص خارقة وعجيبة، إذ إنها كادت تكشف أجزاء الجسم كلها، ثم تقدمها على شاشة بصورة أرقام. فأظهرت البيانات أن في جسمك كذا عدداً من العظام، والعضلات، وكذا كمية من الدهون، والسوائل.

وبعد أن اطلع طبيب التغذية على تلك البيانات، طلب منك اتباع نظام جديد لحياتك قائلاً:

"عليك تخفيض نسبة الشحوم في جسمك، وتقوية عضلاتك، ولتحقيق ذلك سوف تتبع نظاماً غذائياً معيناً، وعليك المشي مسافة كذا يومياً، والابتعاد عن الانفعال والضغوط النفسية...وغيرها من الإرشادات". وقال:

"هذا الأمر شرط ضروي من أجل صحتك. وإلا فإن نسبة الشحوم سوف تزداد، والعضلات

سوف تُصَاب بالضَّعف والوهن، وبعد مدة سوف تضعف رئتَيك وقلبك وتصبح عاجزة عن تحمل هذه الحمولات الزائدة، ثم بعد ذلك سوف تزداد عروقك سماكة، وتبدأ الشرايين بالتصلب...الخ".

وضع طبيب التغذية أمامك جدولاً قاتماً، وساقَكَ إلى خيار مصيري.

ثم وضع أمامك جدول مواعيد وقال:

"تعال إلي بعد شهر، لأقيس وزنك، واكشِف عليك من جديد، ونرى توازن الشحوم والعضلات".

بعد شهر رجعتَ إليه مرة أخرى وفحصَك وقاسَ وزنك. فصار طبيب التغذية يتحدث وكأنه مطلع تماماً على نظام معيشتك خلال شهر، إذ قال:

"لقد تناولت الكثير من المعجنات، واستهلكت المزيد من السكر، ولم تمشِ قط. إن نسبة الشحوم مرتفعة كثيراً في جسدك، وهناك ازدياد في نسبة الكولسترول، ويبدو أن هناك احتمال لظهور مرض السكري...الخ".

وبعد؟

تقول ماذا سيحدث بعد ذلك؟

هل ستذهب إلى طبيب التغذية وتتابع حياتك المعهودة؟

أم أن "ذهابك كل شهر من أجل الفحص والوزن" سوف يقودك إلى اتجاه مختلف، بحيث تجلس مع نفسك وتفكر في أمرك للقيام بعمل يقيك على الأقل من الشعور بالخجل أمام طبيبك، وطبيب التغذية، أو على الأصح كي لا تذهب المبالغ التي دفعتها سدى؟

عليك اتباع توصيات الطبيب، أو الامتناع عن الذهاب إليه لتجنب الوزن والكشف أمامه مرة أخرى، عندها عليك بالرضا بتدهور صحتك ونتائجه؟

حسناً؛ وماذا لو لم يكن لديك خيار الامتناع عن المثول أمام طبيب التغذية؟ أو كان الصعود على الميزان أمراً حتمياً لا مفر منه؟...

إن حال الإنسان في الدنيا والآخرة تشبه هذا الافتراض تماماً.إذ سوف يعيش في الدنيا، ويُوزَن في الآخرة. والوزن يومئذ سيكون في حضرة الخالق سبحانه وتعالى. هنالك سيوضع سجل حياتنا في ذلك الميزان، وعندها تظهر أدق التفاصيل.

ألا نعلم أنه إذا امتنعت ألسنتنا عن الكلام، فسوف تتحدث أيدينا، وأرجلنا، وجلودنا؟

فكما أن الميزان الذي أمام طبيب التغذية يتحدث، فإن "الميزان الإلهي" أيضاً سوف يكشف كل تفاصيل الحياة الدنيوية المسجلة على أيدينا، وأرجلنا، وأعيننا، وآذاننا، وجلودنا. حتى ولو كان ذلك مثقال ذرة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)

وكل شيءٍ خاضع للتسجيل لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)

إن الله تبارك وتعالى يصوِّر حال الذين اتخذوا الحياة الدنيا لهواً ولعباً وعاشوا فيها خبط عشواء، في تلك اللحظة التي يُقَال لهم فيها ﴿اقرأ كتابك﴾، وتُقرأ كتبهم، بقوله في كتابه العزيز:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

فكل شيءٍ يُسجَّل في سجل أعمالنا أكان كبيراً أو صغيراً، حتى الإشارة بالعين أو الحاجب التي تصدر عن أحدنا للسخرية من شخص ما.

إننا سنخضع للميزان، وذلك اليوم آت لا محالة عاجلاً كان أم آجلاً.

ولا فائدة حينها لقول:

﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (القيامة: ١٠)

لأنه لن يكون هناك مفر نهرب إليه، وسنقف أمام الميزان لا محالة:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة: ٦-١١)

إن طبيب التغذية- مهما كان جيدًا في عمله- يحاول وصف الشيء الذي لا سلطة له عليه بقدر ما يستطيع الوقوف على حقيقته.

فماذا تقولون عمَّن وهبنا بذاته هذه الحياة كلها، ومنحنا كل القدرات فيها، وفوق ذلك كله قدَّم لنا منهجاً سليماً نتَّبعه في الدنيا كي نفوز بالآخرة؟ هل فكَّرنا يوماً بذلك؟ وهل نفكر بالسؤال الذي سوف يوجهه لنا عندما نرحل إليه بعد شهر، أو ثلاثة أشهر، أو حتى خمس أو عشر سنوات ونقف بين يديه، فيقول: "ماذا فعلت يا عبدي؟"

وهل نتفكر بذلك اليوم التي ستشهد فيها أعضاؤنا علينا، عندما تزداد أعباء قلوبنا ونشعر أنها صارت صدئة، فينتشر الصدأ في عروقنا؟

ينبغي أن لا ننسى أبداً الأمور الآتية: يوم الوزن والحساب، وفي حضرة من سوف تُوزَن أعمالنا، والمعاملة التي سنلقاها بعد انتهاء الوزن.

إن الإنسان مجبول على النسيان، وذلك نقطة ضعف لديه. فهو أحياناً لا ينسى طبيب التغذية، ولكنه ينسى ربه عز وجل؛ أي ينسى الذي وهبه جسمه وروحه.

نحن البشر جميعاً ما إن نُولَد ونفتح أعيننا على هذه الدنيا حتى نسلك ذاك الطريق الذي يوصلنا في نهايته إلى لحظة الميزان تلك. وأينما كنا نعيش، أكان على وجه الأرض أو في البحر أو في الفضاء؛ ومهما كانت أحوالنا، أكنَّا أغنياء أو فقراء، مُنعَّمين أو محرومين، أقوياء أو ضعفاء، ففي النهاية ليس من أحد جاء إلى هذه الدنيا باقٍ فيها؛ فكل قادم راحل لا محالة.

سيأتي ذلك اليوم الذي نقف فيه أمام الميزان لتبدو حسناتنا وسيئاتنا، فالقرآن الكريم ذاك الكلام الأزلي يخاطبنا من الآن:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)

لأن الإنسان يتذكر كل شيءٍ هناك:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥)

والقرآن الكريم يأمرنا أن نتخلص من أدران القلب:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩)

فهنالك تسودُّ وجوه.

وهنالك الخسران المبين.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾:

"أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته"

(ابن كثير: ٨ / ٤٧٤)

حتى سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يدعو ربه قائلاً:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٧-٨٩).

فهل سنقف أمام الميزان بقلب مريض أم بقلب سليم؟

وهل سنقف أمام الميزان وقد خابت أيادينا وأعيننا وآذاننا، أم سنقف وقد أفلحت؟

إننا عاجلاً أو آجلاً مقبلون على ذلك الميزان.

إذا لم نولِ قلوبنا الاهتمام والرعاية اللازمة، فإننا سوف نعيش مع آلام في قلوبنا. وإذا لم نحرص على أن نجعل ما يتدفق في أوردتنا وشراييننا سليماً، فسوف تتصلب تلك الشرايين، وتتعب الرئتان، ثم نعاني من ضيق التنفس. وكل هذه الأمور وغيرها متعلقة بالقوانين التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى في بنية الإنسان.

كيف نستطيع أن نفكر بأن الخالق عز وجل لم يضع نظاماً لوجود الإنسان في رحلته إلى الآخرة.

وإذا كان على الإنسان أن يدفع ثمن عدم اتباعه قوانين الله تعالى الفيزيائية في كونه، أفلا يدفع ثمن مخالفته للنظام الإلهي الذي يضمن له الفوز في الآخرة؟

إن النتيجة بعد الميزان نتيجة مختلفة تماماً؛ فإما إلى الجنة أو إلى النار.

والمسألة ليست بالأمر السهل. والامتحان ليس يسيراً. فلندع ربنا، ولنبذل جهودنا حتى نكون من الذين تبيض وجوههم عند الميزان.

فالخزي الذي يكون في حضرة الله تعالى لا يشبه أبداً الخزي أمام طبيب التغذية، فحتى الأطباء يحرصون كل الحرص على أن لا يكونوا في خزي في حضرة الله، لأن المسألة تتعلق بحياة أبدية؛ فإما فوز وفلاح، وإما حسرة وندامة.

أبكي الليل

أمل أوكيار

يهطل المطر
فتبتل ساحات مدينتي الصامتة
يبرد الأطفال والطيور
محرومين حتى من شعلة نار
فترتجف الآمال
في أشد لحظات اليوم ظلمة هذه
تُنتهب ساعاتي واحدة بعد الأخرى
يشتت الجنود بسيوف مجردة حسراتي وأشواقي
في ديار الأسى والأكدار
أرى طيور الأبابيل في وجه السماء
في سجن الغربة
أحدث الليل عن أنين الفراق
ثم أطفئ حتى نجوم الصوت
لعل حبيبي يغفو
قالوا لي: كان الوصل في البدء ثم الفراق
والقلب الذي لا يعرف الوصل، لا يعاني ألم الفراق
أيا سيدي، ونبيي، وحبيبي
ائذنوا لفراقي
لعلي أستطيع القول أنه كان بعد اللقاء
لعلي أقول أحببت وأعاني الآن الفراق
أردت إيقاد مليارات النجوم لأجلكم
لعينيكم اللتين تنظران مثل الحرير
لعينيكم اللتين تبصران أبعد ما تدركه الأبصار
كنت أريد أن أفديكم بروحي
في هذه الساعة الممطرة، والسوداء، والمهمومة
أردت تسخين الزمن حتى يصير نهراً متوهجاً
أردت حل كل العقد والألغاز
أردت إشعال كافة المستحيلات
ثم أردت أن أكون دمعة مهراقة من عينيك الوضاءة
كالشمس
يهطل المطر
فأبكي الليل
وأبكي الفراق

رعاية الأمانة

علي رضا تَمَل

إن الإنسان الذي نستطيع أن نُسَلِّم إليه أي شيءٍ سواء أكان مادياً أم معنوياً بكل راحة بال واطمئنان قلب هو الإنسان الأمين الموثوق. ويُقَال للشيء الذي يُودَع لدى إنسان لمدة مؤقتة من أجل حفظه "أمانة".

والكائن الوحيد على وجه الأرض الذي حمل الأمانة هو الإنسان، لهذا يُعَدُّ خليفة الله في الأرض. وهذا هو المصدر الذي يستمد منه سيطرته وحكمه على الكائنات الأخرى وحق التصرف بها. ويكتسب الإنسان قيمةً سواء عند الله تعالى أو عند العباد بقدر قيامه بمسؤولياته تجاه الله وتجاه المخلوقات، وبقدر حفظه وصونه للأمانات التي بين يديه بدقَّة.

إن كل الأشياء التي بين يدي الإنسان أي التي يمتلكها في هذه الدنيا هي أمانات مؤقتة أُودِعَت عنده. فأعضاء جسمه، وأمواله وأملاكه، وأولاده وأهله، ومنصبه ومقامه كلها أمانات لديه.

وأما نقيض الأمانة فهو الخيانة، والخيانة من صفات المنافقين. وأما رعاية الأمانة والمحافظة عليها فهي من صفات المؤمنين. يقول الله تبارك وتعالى في بيان صفات المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)

وقد بيَّنَ النبي عليه الصلاة والسلام حال التلازم التي لا انفكاك فيها بين الإيمان والأمانة بقوله في الحديث الشريف:

"لا إيمان لمن لا أمانة له" (أحمد: مسند، ٣/ ١٣٥)

لقد كانت الأمانة من أهم الصفات التي اتصف بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. فالوحي الذي يُعَدُّ رسالة إلهية أعظمُ أمانة، ولا يمكن بشكل من الأشكال إيداع مثل هذه الأمانة لدى أي شخص.

والمَلَكُ الذي نزل بالوحي على سيدنا محمد الأمين هو جبريل الأمين عليه السلام. فقد كان أعظم الناس أمانةً في مكة هو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وحتى ألد أعدائه كانوا يدعونه بـ"الأمين".

وكانوا يُودِعُون أشياءَهم وأموالهم أمانةً لديه على الرغم من بغضهم إياه. فلو لم يكن النبي عليه السلام أهلاً للأمانة لما أفلح في الإقناع، ولو ظهرت منه أدنى علامة على الكذب أو الخيانة لما وجد من حوله حتى ناصراً واحداً. فالمليارات من أتباعه في الماضي والحاضر ما هم إلا أثرٌ لصدقه وأمانته، لأنه ليس للكذب والخيانة صفة الإقناع بصورة دائمة.

كان النبي عليه الصلاة والسلام يصدق دائماً سواء مع أصحابه أم أعدائه، فصار رمزاً للأمانة والصدق. ولما اضطر والمؤمنون معه إلى ترك موطنه مكة والهجرة منها إلى المدينة، كانت لديه أمانات لأعدائه من كبار رجالات قريش، فخلف وراءَه ابن عمه علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه من أجل إعادة تلك الأمانات إلى أصحابها، فقام علي رضي الله عنه بتنفيذ المهمة وأعاد إليهم أماناتهم.

ونستعرض فيما يلي صورة ملفتة لمدى حرص النبي عليه الصلاة والسلام في مسألة الأمانة:

كانت خيبر التي تقع شمال المدينة المنورة وتبعد عنها مسافة مئة وخمسين كيلومتراً، إحدى مراكز تجمع اليهود. وفتحَهَا النبي عليه الصلاة والسلام في العام السابع للهجرة. كان مع اليهود عبد أسود أجير عندهم يرعى غنماً لهم، وقد سمع اليهودَ يقولون أنه يَدَّعي أنه نبيٌّ مُرسَلٌ، فساقه هذا لأن يذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله عما يدعو إليه، وكان رسول الله ﷺ الذي نُصِرَ بالضعفاء والمساكين لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، لذا عرضه عليه رسول عليه الصلاة والسلام ، فأسلم، وجمع قلبه الطيب بين الإيمان والأمانة.

فدعته الأمانة بعد الإيمان أن يقول لرسول الله عليه الصلاة والسلام:

إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها، لم يقل له النبي ﷺ أنها للمؤمنين بحكم أنها غنيمةٌ للغالب، ولكنه أجرى أمانة الرجل على رسلها، بل قال له: اضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها. فأخذ حفنة من الحصا، فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى صاحبك فواللهِ لا أصحبك أبداً. فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها، حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر قتله. وقال النبي عليه الصلاة والسلام إنه شهيد وأنه دخل الجنة.(محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، ٣، ٧٨٩)

علينا في هذا العالم الذي يخون فيه حتى الصاحب صاحبه بكل سهولة أن نُبلِّغ الناس جميعاً بكل وسيلة ممكنة وبصوت عالٍ حرصَ النبي ﷺ على مراعاة الأمانة والحفاظ عليها حتى مع ألد أعدائه.

ونستعرض فيما يأتي أيضاً مثالاً لدقَّة مسألة الأمانة من حياة الصحابة الكرام الذي تربوا في مدرسة النبي عليه الصلاة والسلام، وساروا على نهجه:

قبيل فتح مكة خرجت قافلة تجارية لقريش من مكة، فاستولت عليها إحدى سرايا المسلمين التي كانت بقيادة زيد بن حارثة، فأخذوا أموالها غنيمة للمسلمين، وأسروا رجالها.

وكان من بين هؤلاء الأسرى أبو العاص بن ربيعة صهر النبي عليه الصلاة والسلام، إذ كان زوج ابنته زينب رضي الله عنها. فاستجار أبو العاص بزوجته زينب، فقبلت إجارته وأعطته الأمان. ثم جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام وطلبت منه إعادة أموال زوجها إليه. فجمع النبي ﷺ رجال السرية، وقال لهم: "يا أيها الناس، إنَّ هذا الرجل ما ذممته صهراً، وإنَّ هذا الرجل حدثني فصدقني ووعدني فوفَّى لي. فإن قبلتم أن تردوا إليه ماله وأن تتركوه يعود إلى بلده، فهذا أحب إلي. وإن أبيتم فالأمر إليكم والحق لكم ولا ألومكم عليه". فأعاد الصحابة الأموال إلى أبي العاص. ورجع بها أبو العاص إلى مكة، وأعادها إلى أصحابها من أهل مكة، ثم نادى في جموعهم: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله". وقال: "لقد أسلمت بالمدينة، وما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم". ثم رجع مسلماً إلى النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة. فرد رسول الله عليه الصلاة والسلام عليه زينب بذلك النكاح أو بنكاح جديد. وبهذا الخلق الرفيع جمعَ النبي عليه الصلاة والسلام بين صهره وابنته، وقدَّم نموذج المسلم لمشركي مكة.

وقد أظهر النبي عليه الصلاة والسلام هذا الخلق الرفيع مع صفانة أخت عدي بن حاتم التي وقعت أسيرة بيد المسلمين، إذ اشترى لها مركباً، وأعطاها أجمل الثياب ثم أرسلها إلى أخيها عدي الذي كان في الشام. وما كان من عدي إلا أن أعلن إسلامه بعد أن لقي هذه المعاملة السامية. إن قصة إسلام عدي رضي الله عنه عجيبة للغاية، ويمكن الاطلاع عليها بالتفصيل في المراجع.

لقد حُمِّل ابنُ آدم الأمانة، إلا أنه أخفق مرات عدة في حمايتها والمحافظة عليها، إذ جنح إلى الظلم والجهالة. قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: ٧٢)

إن الأمانة المقصودة هنا تعني من جهة الواجبات والمسؤوليات الدينية، ومن جهة أخرى كافة أنواع الأمانات السائدة بين الناس.

والسبب وراء عدم تحميل الكائنات الأخرى غير الإنسان بالأمانة إنما هو طبيعتها، إذ إنها لا تخرج أبداً عن المقصد الذي خُلقت من أجله. ويشمل ذلك الملائكة أيضاً. والكائن الوحيد في هذا العالم والذي يمتلك القدرة على التحرك بعكس طبيعته هو الإنسان. فالمراد بامتحان الأمانة هو الإنسان الذي يمتلك القدرة على الطاعة والعصيان. وليس انحراف الإنسان نحو الظلم والجهالة لتحميله الأمانة، وإنما لعدم إعطائه الأمانة حقها.

يقول النبي ﷺ:

«كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»

(رواه بخاري:٢٥٥٤)

وتأتي أمانة السلطة والحكم على رأس الأمانات، لأنها تتضمن إلى جانب تحمل المسؤوليات الشخصية، تحمل مسؤوليات الآخرين أيضاً. فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه لما طلب أن يستعمله على أمور الناس:

"يا أبا ذر، إنك ضعيف. وإنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها" (مسلم: الإمارة، ١٦)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

"إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".

ففي هذا الحديث إشارة إلى شدة خطورة إعطاء السلطة لغير المؤهلين لها، وإشارة إلى أن هذه الحال تقود المجتمع إلى كوارث مدمرة. وقد أُثبِتَ بالحقائق التاريخية ماذا حدث للأمانات عندما سُلِّمَت لغير أهلها. وإننا نرى بأم أعيننا إلى أي حال وصل إليها العلم نتيجة لنظام "العلماء بالوراثة"، وإلى أي دمار وخراب وصلت الدول نتيجة لنظام "الحكم بالوراثة".

فينبغي تربية كل إنسان تربيةً تُمكِّنه من إعطاء العمل الذي يقوم به حقه. ولا شك أن وضع حمولة بوزن مئة كيلوغرام على عاتق طفل لا يطيق حمل سوى عشر كيلوغرامات سوف يؤدي إلى سحقه تحت هذا الحمل الثقيل، فهذا الأمر إجحاف بحق الحامل والمحمول على السواء.

وخلاصة القول أنه لا بد من تهيئة الناس بالطريقة التي تمكنهم من حمل الأمانات، وإعدادهم بشعور رعاية الأمانة، وإيداع الأمانات لدى هذا الصنف من الناس. إن أهم صفتين ينبغي وجودهما لدى ولاة الأمور هما الكفاءة والأمانة.

ثمة ثلاثة أنواع ليوم القيامة: قيامة الفرد، وقيامة المجتمع، وقيامة الكون. والقيامة المذكورة في الحديث الشريف يُقصَد بها فساد النظام الاجتماعي، وانزلاق المجتمع نحو الهاوية لانتشار الفوضى والمظالم. فلنقضي على الجهالة، والتعصب المذهبي، والمصالح الشخصية والطبقية الضيقة، ولنسلم الأمانات لأهلها في سبيل تحقيق الرفاه والسلم الاجتماعي.

ضياع الأمانة!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال.

وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال:

«أين – أراه – السائل عن الساعة»

قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»،

قال: كيف إضاعتها؟

قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»

(البخاري: العلم، ٥٩)

فضل الاستغفار

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٧-١٨)

وبلغنا رسوله الكريم ﷺ فقال:

"إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة" (مسلم، الذكر، ٤١)

الأستاذ: لقمان حلوجي

الاستغفار هو التضرع والتوسل بالقلب طلباً للعفو من الله ﷻ بعد التوبة من الذنب. فينبغي لنا إذا ما زلَّت أقدامنا واقترفنا معصية أن نسارع مباشرة إلى التوجه إلى الله ﷻ قبل أن تترك تلك المعصية أثراً في القلب، وأن نسأله العفو عن أخطائنا وذنوبنا.

والصدق في الاستغفار له أهمية عظيمة، فالمذنب إذا ما اكتفى بتحريك حبات السُّبحة التي في يده، وبتحريك شفتيه، وقلبه ما زال يميل إلى الذنوب والشوق إليها، فإن تلك المعاصي والذنوب تستهزئ بتوبة صاحبها وباستغفاره. فالاستغفار ليس كلمات وألفاظ نحرك بها ألسنتنا وشفاهنا، وإنما حال تهيمن على كيان الإنسان. فعبارة "أستغفرُ الله" ليست مجرد كلمات تُقال باللسان بعيداً عن التفكر القلبي العميق؛ وإنما شعور بالندم والحزن يسيطر على القلب مع العلم والإحساس بمعاني الكلمات التي تخرج من بين الشفتين. تقول رابعة العدوية رحمها الله تعالى عن الاستغفار بطرف اللسان مع غفلة القلب عنه:

"إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار".

إن للاستغفار مكانة مميزة وهامة في تطهير القلب، فالإنسان يتخلص بالاستغفار الحق- أي المطابق لشروطه- من أدران الذنوب التي تفتح الباب واسعاً لصدأ القلب وقسوته.

والحديث الشريف الذي بيَّنَ أن القلوب التي يخيِّم عليها الظلام نتيجة الذنوب والمعاصي تُطهَّر وتُنار من جديد بالاستغفار، حديثٌ يرشدنا إلى السبيل الذي نستطيع من خلاله تطهير قلوبنا الغافلة، إذ يقول ﷺ:

" إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه... " (الترمذي، تفسير، ٣٣٣٤)

فالذنوب تُقلِّل من رِقَّةِ القلب، وتحجبه عن الحقيقة، فتصيبه بعمى البصيرة. فإذا ما أُصيب قلب الإنسان بهذه الحال الخطيرة، فلا مناص له من الخروج منها، وجعل قلبه مظهراً للتجليات الإيجابية إلا باللجوء الصادق إلى الاستغفار والدعاء. لذلك يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بأن نبدأ يومنا بالاستغفار في الأسحار حتى قبل صلاة الفجر، ليتطهر وعاء القلب من الأدران التي ترسبت فيه في اليوم السابق.

لقد كان جميع الأولياء والصالحين وعلى رأسهم الأنبياء والرسل في حال استغفار دائم والتجاء إلى الحق ﷻ، في العسر واليسر، وفي الحزن والفرح، إذ لا يستطيع العبد أن يستغني عن الدعاء والاستغفار لما يقترفه من الذنوب والمعاصي. والأنبياء والرسل كانوا معصومين عن ارتكاب المعاصي التي يقع بها سائر العباد، إلا أنهم كانوا معرضين للوقوع في الزلات.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

" والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" (البخاري، الدعوات، ٣)

فما الذي كان يدفع النبي ﷺ إلى الاستغفار؟ لقد بُشِّر رسول الله ﷺ في سورة الفتح بأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إلا أن قلبه الذي وسع العالم رحمةً كان يضطرب بين يدي الله تعالى خشية من عدم القدرة على شكره حق الشكر، وكان يرى دائماً أن الأعمال الصالحة التي يؤديها غير كافية، أو أنها لا شيء، لذلك كان يكثر من طاعاته وتضرعه إلى ربه. وكلما شعرَ بأن عبوديته لله تعالى ناقصة أو غير كافية، سارعَ إلى التوبة والاستغفار.

لا شك أن توبة نبينا الكريم ﷺ وإكثاره من الاستغفار في معظم الأحيان ليس لخطأ اقترفه، أو تقصير وقع منه، وإنما لخشيته من عدم الوفاء بدين الشكر لربه ﷻ، ولحرصه على نيل رضا الله تعالى والتقرب منه أكثر، فالنبي ﷺ كان في حال ترق معنوي دائم، وكان يلجأ إلى الاستغفار كلما أحسَّ بأنه قد نزل قليلاً عن المقام المعنوي الذي حققه في وقت سابق.

وبقي أن نشير إلى أن رسول الله ﷺ قال أيضاً:

"والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم" (مسلم، التوبة، ١١)

وعندما يكون الدعاء والاستغفار بالندامة الحقيقية، فإنهما يُعدَّان من أكثر العوامل التي تقرب العبد من الله تعالى. يقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف:

"من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب" (أبو داوود، الوتر، ٢٦/ ١٥١٨)

" أنزل الله علي أمانين لأمتي:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (الأنفال: ٣٣)

فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة " (الترمذي، التفسير، ٨/ ٣٠٨٢)

ونفهم من الشطر الثاني للآية الكريمة بأن الله تعالى لا يُنزِل عذابه بقوم طالما أن فيهم عباد صالحون يستغفرونه ويتوبون إليه، تكريماً لهؤلاء الصالحين.

و لقد بشرنا رسول الله ﷺ بدعاء عظيم سمَّاه "سيد الاستغفار"، وأوصانا به. وفي هذا الدعاء الذي صاغه نبينا الكريم بأسلوب فريد بليغ معانٍ عميقة تأخذ بالألباب، حيث يقول:

" سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " قال: «ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة» (البخاري، الدعوات، ٢، ١٦)

قدواتنا ليست ضرباً من الخيال

الأستاذ: نور الدين يلدز

إن قصص الأنبياء التي يسوقها لنا القرآن الكريم، ويذكِّرنا بها بصورة متكررة في أكثر من موضع ليست ضرباً من الخيال أبداً؛ وإنما هي أخبار ثابتة وقطعية وحقيقية أكثر من الأحداث التي تجري أمام أعيننا اليوم.

وإننا ننظر إلى تلك القصص على أنها قدوات لنا وللذين يأتون من بعدنا. وكأن تلك القصص التي تُعد أجمل نماذج العبودية لله تعالى تنطبق علينا، والأحداث التي تجري فيها كأنها عائدة لنا، وذلك لأن دعوتنا الإيمانية هي الدعوة ذاتها التي نادى بها أولئك، والعاقبة الحسنى التي نرجوها ونأملها من ربنا هي العاقبة ذاتها التي كانوا يرجونها. فكيف يمكن أن نعدَّ تلك النماذج الشاخصة أمام أبصارنا مجرد خيال؟

إنّ تلك القصص تمثل قمة الحقيقة والواقعية والتي يمكن اتخاذها كأجمل النماذج للاقتداء بها والاعتبار منها.

وقصص الآخرين غير الأنبياء والرسل التي ذكرها القرآن الكريم هي أيضاً من أجلنا، وأحوالهم كأحوالنا. ذلك أنهم كانوا أناساً مثلنا، وكان لهم إيمان كإيماننا، والذي نرجوه كانوا يرجونه أيضاً. والأخبار التي تتحدث عن المؤمنين الذين أُلقِيَ بهم في أخدود ممتلئ بالنيران الملتهبة كأنها أحداث تجري اليوم.

وستبقى تلك الأحداث حية ما دام القرآن الكريم الذي هو كتاب الله تعالى قائماً، أي إنها ستبقى حية إلى الأبد. ولو أن تلك الأحداث كانت تجري اليوم أمام أعيننا لما رأيناها حية لهذه الدرجة. لقد كانت حادثة أصحاب الأخدود حيةً وقطعيةً بقدر قطعية القرآن الكريم. إنها ليست ضرباً من الخيال أبداً، وليست أمثلة مقدمة لآخرين، وإنما هي نماذج حقيقة مقدمة لنا.

إن المؤمنين الذي احترقوا في ذلك الأخدود نموذج من النماذج الحقيقية للذين يشعرون بالآلام والمعاناة.

وقد قدَّمَ القرآن الكريم أولئك الذين قالوا:

﴿... يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (يس: ٢٦) مَثَلاً للذين يحدِّثون الناس فلا يسمعونهم. إن كتابنا المليء بالأمثلة والنماذج ماثل أمامنا، ويخاطب جميع المستويات، يخاطب الذي يرى نفسه مؤمناً عادياً، ومَن يعتقد بأنه مؤمن متميز عن الآخرين.

والقرآن الكريم كتابنا، كتابٌ موجَّهٌ إلينا، والمخاطَبون بالأخبار فيها هم نحن. فليس المهم عدد القرون التي مضت على نزوله؛ وإنما المهم أن ننظر إلى كتابنا على أنه قد أُنزِل الآن، وينادينا، ويخاطبنا بذكر أسمائنا، لأننا مؤمنون آمنا به، وتعهدنا بتطبيقه في حياتنا، فهذا هو المطلوب والمقصود.

والقصص والأخبار التي كان أبطالها جيل الصحابة العظام الذين عايشوا زمن نزول القرآن الكريم ليست خيالاً أيضاً. فأولئك الناس الأفاضل الذين نالوا رضا الله تعالى، ومحبة النبي عليه الصلاة والسلام لم يكونوا ملائكةً نازلين من السماء، ولم يكونوا مخلوقين بطبيعة وميزات خاصة؛ وإنما كانوا خليطاً من الناس، فمنهم من جاء خارجاً من ظلام الجاهلية، ومنهم من جاء من الصحارى متشبعاً بثقافتها وطبيعتها القاسية، ومنهم مَن كان أسيراً. ولم يُحاطوا بأدعية خاصة، ولم يظهروا نتيجة لمعجزة خارقة للعادة؛ وإنما ولدوا أطفالاً من أمهاتهم، وساروا تائهين من مستنقع إلى مستنقع، ولما التقوا بنبي الله عليه الصلاة والسلام وتعرفوا إليه، لزموه ووُفِّقُوا للقيام بما هو مطلوب منهم، ونجحوا بالتخلي عن الماضي والتمسك بالجديد الذي عرفوه. فصبروا وجاهدوا أنفسهم، وعندما تعرضوا للعثرات لم ييأسوا، ولم يهنوا، ولم يحزنوا، ولم يتراجعوا عن المسير على النهج الذي اختاروه، وإنما تابعوا مسيرهم بكل ثبات وإصرار وعزيمة، حتى صاروا في النهاية الجيل الذي رضي الله عنهم. إنهم لم يفلحوا بمعجزة أو دعاء خاص، وإنما بالكفاح، وبذل الجهد، والإخلاص. لقد عملوا على قدر طاقة الإنسان، فأصبحوا يُقارَنون بالملائكة.

عندما نتخذهم قدوة لنا لا ننظر إليهم على أنهم كائنات غير ملموسة وغير مرئية. وإنما على العكس من ذلك ننظر إليهم على أنهم أناسٌ مثلنا. ننظر إليهم على أنهم أناس يأكلون ويشربون، وينامون، ويمشون، ويبكون، ويضحكون، ويغضبون، ويرتكبون الذنوب إلا أنهم سرعان ما يتوبون.

إن النبي عليه الصلاة والسلام عندما يُقدِّم لنا أصحابه الكرام بقوله: "أصحابي" لا يُصوِّر لنا جبلاً يستحيل تسلقه والوصول إلى قمَّته، وإنما يقدم لنا نموذجاً لجيلٍ من أناس أمثالنا، يفعلون الأشياء التي يمكن فعلها. فلا يستطيع أحد النظر إلى عبادتهم وقول: "أين نحن وأين هم!".

وفي مجال الإنفاق ليس هناك رقم محدد لإنفاقهم حتى ينظر أحد من المؤمنين اليوم إليه ويقارن إنفاقه به ليقول متحجِّجاً: "كيف ننفق مثل إنفاقهم؟".

وفي مجال الجهاد لا يمكن لمؤمن النظر إلى جهادهم ويتخذ قراراً كأن يقول:

"لا يمكن القيام بما قاموا به".

إنهم النماذج التي انعكست فيها الحقائق بالتمام، وهم ليسوا نتيجة لمعجزة. فالمدينة المنورة قائمة هناك، وهم هناك، والحياة قائمة، وتلك النماذج ما تزال قائمة. لقد كانوا أناساً مثلنا، مؤمنين مثلنا. فإذا أبعدنا السعي والمحبة الجيَّاشة التي كانت عندهم لا يبقى هناك فرق يمكن أن يشكل حاجزاً بيننا. فالذي ينقصنا هو ذلك السعي، وتلك المحبة التي ترى الجنَّة ماثلة أمامها. والذي عنده سعي ومحبة يبلغ مقصوده.

إنهم ليسوا خيالاً أبداً.

فكأن مصعب بن عمير رضي الله عنه واقف هناك، ويثرب قريبة قرب قريتي.

وكأن حمزة رضي الله عنه أمامنا والرمح مخترق صدره.

وهل من الممكن عدم رؤية أنس رضي الله عنه؟ فها هي بيوتنا، والمجتمع من حولنا مليء بالكثير من أمثال أنس، أليس كذلك؟ فكيف يكون أنس خيالاً، فالخيال ليس أنس، وإنما الخيال الأمهات اللواتي يثَّاقلن إلى الأرض عند التضحية بأبنائهن.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس خيالاً لا في الغار، ولا على طريق الصحراء.

وخالد رضي الله عنه ماثل أمام الأعين وكأنه يعيش في هذه الأيام.

وكيف يكون عمر رضي الله عنه الشامخ خيالاً؟

رضي الله عنهم أجمعين.

إنهم ليسوا خيالاً أبداً، لا الأنبياء ولا الصحابة الكرام. إنهم ماثلون أمامنا، وهم قدوتنا. إن كان هناك خيال فيمكن أن نكون نحن الخيال مقارنة بهم.

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه:

المؤمن في ستة أنواع من الخوف:

- أحدها من قِبَل الله تعالى أن يُؤخذ منه الإيمان،
- والثاني من قِبَل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة،
- والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله،
- والرابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة،
- والخامس من قبل الدنيا أن يغترَّ بها فتشغله عن الآخرة،
- والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى.[1]

علامات العارفين:

- قلبُه مع الخوف والرجاء،
- ولسانُه مع الحمد والثناء،
- وعيناه مع الحياء والبكاء،
- وإرادته مع الترك والرضاء، يعني ترك الدنيا وطلب رضا مولاه.[2]

---

١ ابن حجر، المنبهات، ص٢٥.

٢ ابن حجر، المنبهات، ص٣١.

الصّد عن سبيل الله عزّ وجلّ

إسماعيل لطفي جاكان

إن شرف الإنسان نابع من كون الإنسان عبداً لله تعالى، فالشرف الإنساني يأتي بالأساس بمعنى شرف العبودية، وذلك على ضوء الآية القرآنية:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

والاحترام الحقيقي لشرف الإنسان هو تمكينه من أداء واجب العبودية لله تعالى وعدم إعاقته في هذه المسألة بأي شكل من الأشكال. وسنحاول هنا أن نُبيِّن–من خلال إيراد الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع على شكل عناوين رئيسة– بأن أي تعرض بأي طريقة كانت لشرف الإنسان يعني "الصد عن سبيل الله".

ماهية الصد عن سبيل الله عزّ وجلّ

من المفيد قبل كل شيءٍ وصف ذنب "الصد عن سبيل الله" الذي يمتد لقرون طويلة. إذ إننا نجد الآية الكريمة المتعلقة بالموضوع بين الإجابات التي أُمِرَ النبي ﷺ بتقديمها بشأن تطبيق "الأشهر الحرم" التي كانت معروفة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام.

ففي السنة الأولى للفترة المدنية عيَّنَ النبي ﷺ عبدَ الله بن جحش رضي الله عنه قائداً على رأس سرية وأرسله إلى نواحي مكة. فصادفت هذه السرية قافلة تجارية صغيرة لأهل مكة يقودها ثلاثة رجال. فرمى واقد بن عبد الله التيمي سهماً فأصابَ عَمْراً بن الحضرمي القرشي الذي كان مسؤولاً عن القافلة وقتله، وحدث ذلك في اليوم الأول من شهر رجب الذي يُعد أحد الأشهر الحرم الأربعة. ثم ألقوا القبض على الرجلين الآخرين وعادوا بهما مع القافلة إلى المدينة المنورة. لقد كانت مهمة هذه السرية في الأساس هي الاستقصاء عن أخبار أهل مكة ونقلها إلى النبي ﷺ في المدينة، أي القيام بمهمة استخباراتية. ولكن وقعت مثل هذه الحادثة.

فبدأ أهل مكة بحملة إعلامية كبيرة ضد المسلمين عنوانها: "قتل المسلمون رجلاً في الشهر الحرام". ولما رأى بعض المسلمين أن النبي ﷺ لم يأخذ شيئاً من الغنيمة التي جاءت بها السرية، أخذوا يلومون رجال السرية بقولهم: "إنكم جئتم شيئاً لم تؤمروا به، لقد قتلتم رجلاً في الشهر الحرام". فنزل قول الله ﷻ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧)

فنفهم من هذه الآية أن ذنب صدِّ الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله ﷻ وغيره من كبائر الذنوب مثل – الكفر بالله تعالى، ومنع الناس من زيارة المسجد الحرام، وطرد الساكنين هناك من بيوتهم– أشدُّ من قتل رجل في الشهر الحرام. ذلك أن: "الفتنة [الظلم، وإثارة الاضطرابات، والفساد، والاضطهاد، والتعذيب] أكبر من القتل". (انظر أيضاً البقرة: ١٩١)

وعبارة: "الفتنة أكبر من القتل" الواردة في الآية هي بيان بالإجمال بعد التفصيل، إذ تبيِّن بأن كل فعل من الأفعال المشينة التي تم سردها في الآية أكبر وأشد من قتل النفس، وأن كل واحد منها سبب لحدوث الفتنة.

وهناك أمر بالقضاء على الفتنة، إذ يقول الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣)

ففتنة صد الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله ذنب أشد وأعظم من قتل النفس. فهذا هو التوصيف الأساسي للصد عن سبيل الله ﷻ.

إن ربنا ﷻ حينما يبيِّن للنبي ﷺ الجوابَ الذي يرد به على الحملة الإعلامية التشويهية التي تُشَنُّ عليه وعلى المسلمين، يبين أيضاً للمشركين الذين ثاروا على المسلمين بقولهم: "قتلوا رجلاً في الشهر الحرام" بأن ما فعلوه "أشد وأكبر"، ويذكِّرهم بالكثير من الذنوب التي اقترفوها. وفي الوقت نفسه يعلمنا أصول المناظرة والجدال مع العدو، وكأنه يقول لنا: "فكما أن الأعداء يتداعون فيما بينهم ويتصيدون خطأً يقع فيه المسلمين، ثم يقودون حملة إعلامية كبيرة بقصد الإساءة إلى المسلمين وتشويه صورتهم بالوسائل الكتابية والصوتية والمرئية، دون التفات إلى الأخطاء الكثيرة التي يقترفونها هم، فقوموا أنتم أيضاً أيها المسلمون بتذكيرهم والناس من حولكم بأخطائهم وبيانها ونشرها على الملأ، وذلك بالوسائل ذاتها".

وينبغي في أيامنا هذه التي ينتشر فيها الصراع الثقافي اختيار هذا الأسلوب للدفاع والتبليغ معاً كي نقف في وجه البؤر المعادية الداخلية أو الخارجية، وذلك من خلال فضح الأفعال والأخطاء المشينة التي ترتكبها هذه البؤر. ولأجل ذلك فمن الضروري العمل على امتلاك وسائل الأخبار والاتصال والإعلام ذاتها التي تُقاد من خلالها حملات التشويه المعادية.

البعد المالي والاستثماري للصد عن سبيل الله ﷻ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)

تلفت هذه الآية القرآنية المباركة الانتباه إلى أن الكفار يلجؤون أثناء محاولتهم الصد عن سبيل الله تعالى إلى ميدان "الاستثمار الاقتصادي" وسيستمرون بالعمل في هذا الميدان، فكلمة "فسينفقونها" تشير إلى أنه سيكون هناك كفار يعيدون استثمار أموالهم من جديد في كل وقت وعصر على الرغم من عجزهم عن الحصول على النتيجة التي يريدونها من إنفاق أموالهم في هذا المجال، أي "الصد عن سبيل الله". والحق أنه هذه هي النقطة التي تلتقي فيها حقائق الأمس مع حقائق

اليوم، وإن كان هناك تغير في التسمية والشكل. فكما أن الأموال التي صرفها زعماء مشركي مكة والاستثمارات التي أقدموا عليها لتأمين المؤونة، والمبيت، والمراكب، والعتاد لجيش المشركين في معركة بدر وأحد والخندق انتهت بالأمس بالحسرة والندامة، فإن كل من يتبع هذا السبيل اليوم أو في المستقبل لن ينال أيضاً سوى الندامة والإخفاق. فنفهم من ذلك كله أنه إذا أردنا ألا نشارك الكافرين في مخططاتهم ومشاريعهم الهدَّامة، علينا أن نكون يقظين أثناء تقديم الدعم، والقيام بالاستثمارات، وتمويل المشروعات، فنتساءل: لمَن نقدم الدعم؟ ولماذا؟ وفي أي الميادين تُستَثمر الأموال؟ وما الهدف من التمويل؟

دعوة تتخطى العصور

إن التحذير الذي وجَّهه سيدنا شعيب عليه السلام لأهل مدين، والذي ورد في الآية القرآنية التي سوف نذكرها، كان دعوةً تتخطى العصور، موجهةً إلى الذين رصدوا أنفسهم لصد الناس عن سبيل الله ﷻ. فهذه الدعوة تنطبق تماماً على العهد الإسلامي أيضاً لأنها ذُكِرَت في القرآن الكريم، فشرع من قبلنا شرع لنا إذا قصَّهُ الله ورسوله.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (الأعراف: ٨٦)

ودعوة "عدم القعود بكل زاوية وصراط (طريق)" لا تعني الناحية المادية فقط، أي القعود الظاهر على رأس كل زاوية وممر، وإنما تعني أيضاً عدم القعود المعنوي، أي سلطة الحكم والإشراف التي تتيح التأثير في المجتمع.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: ٤٧)

الصدُّ عن سبيل الله ﷻ معركة متجدِّدة، وعداوة باقية، وأسلوبٌ متواصًى به، عُودِي به الأنبياء أزمانًا، واشتكى الصالحون منه دهورًا؛ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]. وتأمَّل في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فعبَّر ﷻ بفِعْل المضارع "ينفقون"؛ يعني أنَّه فِعْلٌ مُستمر في الحاضر والمستقبل. والصدُّ عن سبيل الله ﷻ قد يكون عامًّا، وذلك بالصدِّ عن الدين كُليَّةً، وقد يكون الصدُّ جزئيًّا، وذلك بالصدِّ عن بعض تشريعات الإسلام، ومحاربتها ومَنْعها، والتضييق على أهلها، كالحجاب والنقاب، والأذان وحَلقات القرآن.

عقاب الصد عن سبيل الله ﷻ

لا ريب أن هناك عقاباً لذنب صد الناس عن سبيل الله. فالعقاب الدنيوي يشمل: الندامة، والحسرة، وعدم بلوغ الأهداف المقصودة، وذهاب جهودهم سدىً وإخفاقهم، والبقاء في ضلال كبير. وأما الآيتان الآتيتان فإنهما تشيران إلى العقاب الخاص بالآخرة وهو: "عدم المغفرة" و "العذاب فوق العذاب".

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: ٣٤)

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: ٨٨)

فينبغي للذين يصدون الناس عامة والمؤمنين خاصة عن سبيل الله سبحانه وتعالى ألا ينتظروا العقاب الدنيوي فقط، وإنما العاقبة الأخروية الوخيمة، وأن يراجعوا أعمالهم السيئة ويتخلوا عن مخططاتهم، وإلا فإن ندامتهم الأخروية لن تفيدهم أبداً.

جـــذور حيويتـــنا

إدريس آربات

يُعَدُّ شعورنا بالمسؤولية مثل أساس هويتنا الإنسانية والإسلامية. وما إكثارنا من تساؤل:

"ما واجباتنا تجاه الله تعالى، وتجاه أنفسنا، والناس، ومحيطنا؟" في وجداننا إلا لشعورنا بالمسؤولية؛ أي إذا لازم عقولَنا هذا التساؤل ولم يفارقه بشكل من الأشكال، فذلك نتيجةً للشعور بالمسؤولية.

فبشعورنا بالمسؤولية نصغي السمع إلى القرآن، وإلى السنة، وإلى وجداننا، ثم يتحول كلٌّ منا إلى إنسان نشيط فاعل. فإن لم يكن هناك شعور بالمسؤولية، فإن ما يقوله القرآن والسنة يصل إلى أسماعنا لكننا لا نبالي به، فيصمت وجداننا، وتتعطل حيويَّتنا. لهذا عندما يُطرَح سؤال: "ما منبع الأخلاق؟"، يكون الجواب: "الشعور بالمسؤولية". وهنا نتساءل: تجاه من نحن مسؤولون؟ والجواب: إننا مسؤولون تجاه الله ﷻ. لأننا ندين له بوجودنا وبكل شيءٍ في كياننا وحياتنا. وهذا الوعي يُولِّد بدوره الشعور بالمسؤولية. ومهما عملنا وسعينا، فإننا غير قادرين على الإيفاء بهذا الدَّين في أعناقنا، إذ علينا أن ندفع ثمن كل نعمةٍ نتعَّم بها، والنعم لا تعد ولا تحصى. لذلك فإن العمل الذي يتسم بقمة العقلانية هو التسليم للحق ﷻ، تماماً مثل عملية الرهن عندما تُسلَّم الرهينة للدائن.

فالاعتراف بالديون المترتبة علينا ثم التسليم للخالق ﷻ سوف يكون كأداء هذه الديون والوفاء بها. لهذا عندما نسعى قدر المستطاع لأداء عبوديتنا، فإن الله تعالى سوف يبدأ بمنحنا الثواب. وإلا فما الذي استحققناه، وثواب أي شيءٍ يمكن أن نتوقع؟ فنحن عاجزون بكل ما نملك عن الوفاء بديوننا. وهناك أمر معلوم وهو: أن الجنة ليست ثواباً لأعمالنا، وإنما هي مكرمة عظيمة تفضل بها علينا ربنا سبحانه وتعالى الذي رضي عن نيَّاتنا وأفعالنا.

وهنا يبرز الإيمان باليوم الآخر، ذلك أننا سوف نواجه الحياة الآخرة التي حددتها نيَّتنا وأفعالنا في هذه الدنيا. وإذا أردنا أن نوضِّح أكثر نقول: "إن ما سنلقاه في (موطننا الحقيقي) وثيق الصلة بالجهود التي نبذلها في سبيل أداء مسؤولياتنا".

إن ارتحالنا من الدنيا لا يكون إلى الفناء والعدم، وإنما انتقال إلى عالم آخر.

فالمحافظة على حيوية إيماننا وشعورنا بالمسؤولية تكون من خلال عبادة الصلاة وذكر الله، وكذلك الأمر بالنسبة لتحويل الشعور بالمسؤولية إلى أخلاق. أي كما أن الذكر والصلاة عبادتان، فإنهما في الوقت نفسه سبب للإبقاء على الكثير من مزايانا حية ومتقدة بين جوانحنا.

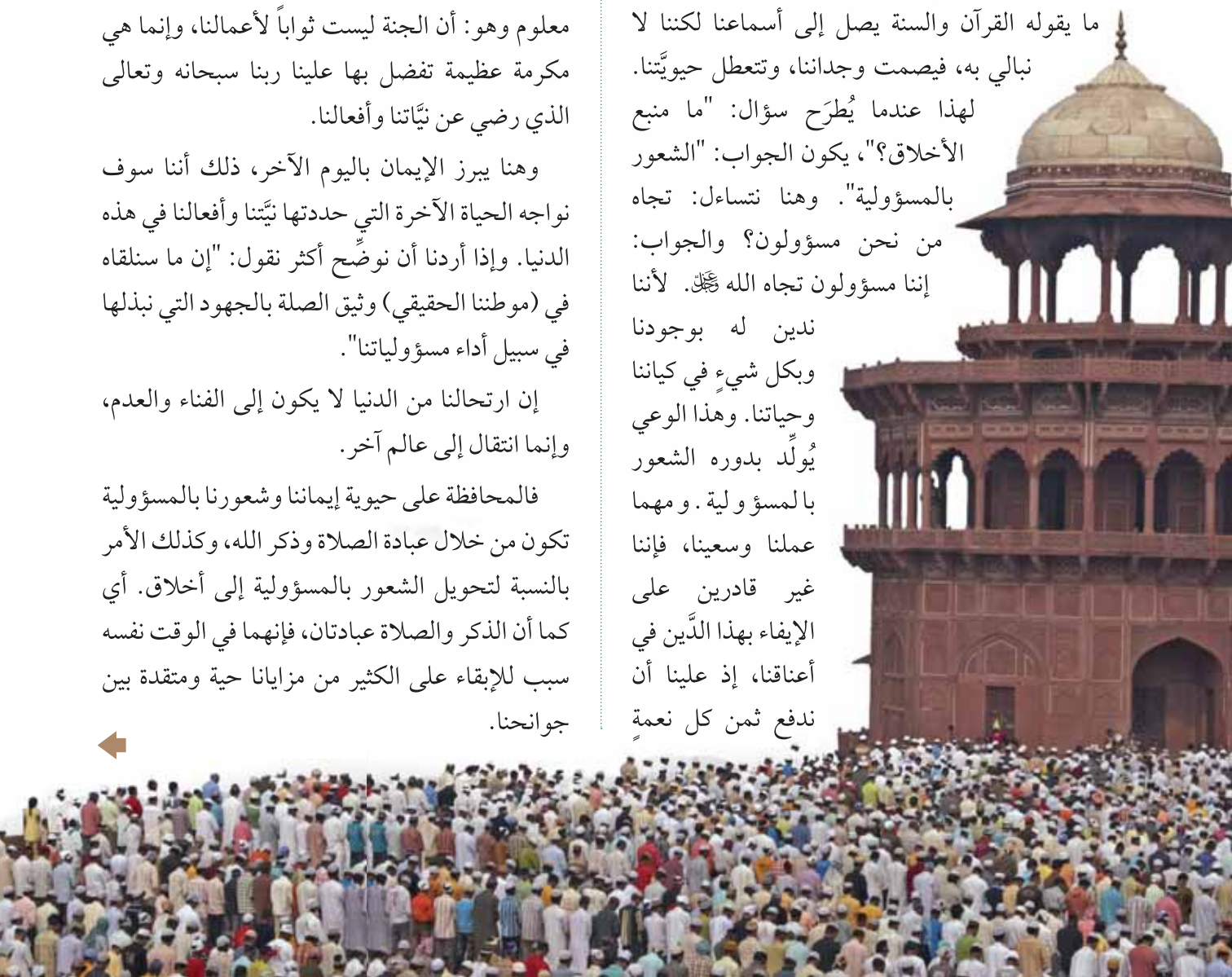

وبكلامنا هذا نكون قد تعرضنا لذكر الإيمان والعمل الصالح؛ أي ذكر المحاسن التي في قلوبنا، وجعل تلك المحاسن عالَمنا جنة. ونجد أن العارفين يعرِّفون المسلم بأنه "الإنسان المنتج للمحاسن والجمال"، فهم يقولون: إن وظيفة المسلم تحسينُ الدنيا. ويشيرون إلى "سر الإحسان". وهذا التحسين يشمل ميادين الحياة كلها. إن العمل الصالح هو كل نية أو تفكير أو عمل خير من أجل نيل رضا الله تعالى مع مراعاة الزمان، والمكان، والظروف. فالعمل الصالح عبادة، وإنتاج، وخدمة، ونفع. إنه الرحمة بسائر الأحياء ابتداءً من الإنسان، والطير، والدواب وانتهاءً بأحقر الحشرات.

يبدو أن المسلم في العبادات اليومية يتطهر من النواقص والعيوب المحتملة، ويُزوَّد بالخصال الحسنة، ويُقدَّم إلى الحياة ليزيد فيها من الخير والإحسان. فتتحول الدنيا عندئذ من أولها إلى آخرها إلى ميدان عمل، وإلى خدمة في الحياة. فالإيمان يزيد العبادة، والعبادة تزيد الأخلاق، والأخلاق تزيد الإحسان.

ولا بد لنا هنا من أن نُعرِّج على ذكر الجهاد.

فما هو الجهاد؟ إنه الأنشطة التي تهدف إلى إكساب الإسلام للناس، وإكساب الناس للإسلام؛ أي التقاء الإنسان والإسلام. إنه الجهود التي تُبذَل من أجل إيصال الإنسان الفرد والمجتمع إلى حال من الصفاء والنقاء. إنه الأنشطة التي تزيد من إسلام المسلمين، وإنسانية الإنسان. إنه المبادرات التي تعطي كل ذي حقه حقه، وتمنع اعتداء المعتدي.

إن الشيطان لا يأخذ إجازات ولا يتخلى عن صفته الشيطانية. فالأعمال الشيطانية سوف تستمر كل حين. وفي هذه الحال ينغبي أن يستمر جهادنا أيضاً، فلا الشيطان يتخلى عن أنشطته ووسوسته، ولا المسلم يتخلى عن أنشطته ومساعيه الهادفة إلى إحياء الناس ونشر المحاسن. فلا مهادنة في هذا الكفاح أبداً.

ينبغي أن نعلم أن الجهاد لا يعني "القتال"، وإنما يعني بذل مزيد من الجهد والعمل باستمرار من أجل الإكثار من نشر الخير، والإحسان، والمحبة، والوئام بين الناس. وهذا الدين المبين يطلق على الجهاد المسلَّح اسم "القتال"، وهو موضوع آخر ومختلف. ففي المفهوم الإسلامي كل قتال جهاد، ولكن ليس كل جهاد قتال.

فهذه الأسس التي حاولنا تبيانها تجعل المسلم في حال حيوية وفاعلية دائماً، فالمسلم الذي ينتبه إلى هذه الأسس ويفهمها سوف يعيش حياة مليئة بالنشاط والحيوية في هذه الدنيا المحكوم فيها بالموت. وسوف يسرع الخطى في التنقل من الأنشطة القلبية إلى تلك الذهنية والعقلية، ومن الأنشطة الذهنية إلى البدنية والاجتماعية. وستتحول المبادئ التي آمن بها إلى إنسان مُفعَم بالحركة والبركة. فالمتاعب تلاحقه وتنتظره في كل مكان وكل نشاط، إذ ينتقل من متاعب إلى متاعب، ثم إلى متاعب أخرى، متاعب وسعادة في آن واحد...

وإذا أردنا أن نلخِّص ما تقدم نقول:

إن الشعور بالمسؤولية رابض على أرضية الإيمان. والعبادات المعروفة مثل الصلاة والذكر تنمي الشعور بالمسؤولية. وهذا الشعور يُولِّد الاخلاق، والأخلاق تقتضي التحلي بالرحمة تجاه الإنسان وسائر الكائنات الحية؛ أي إن الإنسان الذي يتمتع بالأخلاق يعيش حياةً مليئةً بالنشاط والحيوية لصالح الناس والكائنات الحية الأخرى. ويمكن أن نطلق على هذه الفعاليات والأنشطة اسم "العمل الصالح". أي إننا نحوِّل إيماننا إلى طاقة عملية وفعلية، ونضيف إلى الحياة الخير والمحاسن والجمال. ونستطيع أن نقول: إن الجهاد نقلٌ للحياة إلى حال من النقاء والصفاء. ولا ريب أن هذا الجهاد سوف يمضي قائماً ما دام في العين نظر، وفي القلب نبض.

فهذه هي خلاصة حياة المسلم.

الثقة باللّه عزّ وجلّ و الرضا بقدره

الأستاذ الدكتور كريم بولادي

إن الأحداث الجارية في العالم الإسلامي تؤلمنا كثيراً، وتترك بالغ التأثير في كياننا. لقد أمعنت أمة الإسلام في مخالفة روح الأخوة التي وضعها القرآن الكريم والسنة النبوية، فصارت قوتها المادية والمعنوية إلى اضمحلال. وفقد المسلمون القدرة على فهم التحذير الإلهي في القرآن الكريم القائل:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)

فوصلوا نتيجة لذلك إلى عاقبة وخيمة اضطروا فيها إلى دفع فاتورة باهظة الثمن تتمثل في جرائم تنال من الشرف والكرامة الإنسانية مثل المذلة، والإبادة، والاحتلال.

فبدلاً من أن يقف أتباع القرآن العظيم في مواجهة المنكرين والظالمين مواقف تتسم بالحزم والشدة، والشجاعة، والعزة، والدراية، والثبات، نجدهم عكس ذلك تماماً إذ يشن بعضهم على بعض حرباً ضروسة لا شفقة فيها ولا رحمة ضاربين بالمنظومة الإيمانية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية عرضَ الحائط. وتُظهِر هذه الحال بوضوح مدى ابتعاد المؤمنين عن الخط الذي رسمه القرآن والسنة.

ليس هناك مؤمن لم يُصَب بالحزن والأسى نتيجة لهذا الشرخ الذي حصل بين المسلمين، والذي يزداد يوماً بعد يوم، وليس للمسلمين نجاة وخلاص من هذا الشرخ المؤلم والشديد سوى بالعودة إلى الكتاب والسنة، وإعادة تفعيل القواعد التي وُضِعَت فيهما.

لم يخلُ التاريخ من الحاقدين على المؤمنين، والحاسدين لهم على حياة الاستقرار والسلام والأمان التي يعيشونها، والتطور والتنمية التي يحققونها على الصعيد المالي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ولم يتوانَ المحتلُّون والطامحون إلى تحقيق رفاهية شعوبهم على حساب الشعوب الأخرى عن السعي

للسيطرة على حقوق الشعوب وثرواتهم التي على ظهر الأرض وباطنها. وقد أكَّدَ القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ ما يقارب خمسة عشر قرناً، وحذَّر المؤمنين في هذه المسألة، إذ قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠)

إذا ما نظرنا إلى كلمتَي "حسنة" و "سيئة" في السياق الذي وردتا فيه، فإن "حسنة" تحمل معنى الظفر والنصر والغنيمة، وأما "سيئة" فتحمل معنى الهزيمة. إلا أن كلمة "حسنة" بالمفهوم العام تأتي بمعنى كل نعمة، وخير، وحال إيجابية تصيب الإنسان في نفسه، وجسمه، وسلوكه، وتمنحه السعادة والسرور. وتشمل أيضاً معنى اليسر، والبركة، والسعة، والغنى. أما كلمة "سيئة" فإنها على العكس من ذلك، إذ تشمل معنى الضيق، والجفاف، والجدب، والخسران.

وإذا أمعنا التفكير في معنى الآية الكريمة وفقاً لهذه المعاني، يتبيَّن لنا بأن المنكرين لا يريدون للمسلمين أن يعيشوا حياة تسودها الرفاهية، والسلام، والطمأنينة، والاستقرار، والأمان، ولا يرغبون أن يحقق المسلمون النمو والتطور الاقتصادي، والتقني، والاجتماعي، والسياسي وتسير حياتهم بنظام وسلاسة. إن الأحداث التي تجري في العالم اليوم تؤكد صحَّة محتوى الآية التي ذكرناها في الأعلى، وتثبت أن القرآن الكريم كلام معجز.

وتؤثِّر هذه الأحداث فينا تأثيراً كبيراً لا يمكن وصفه، وتُغرقنا في الحزن والأسى والألم. فلهيب نيران الفتنة التي يُرَاد إيقادها بين المسلمين، والبخار الحارق الذي يرتفع من قدور الفساد التي يُرَاد غليها على تلك النيران، تكاد تكوي وجوهنا، وتذيب قلوبنا. ولكن على الرغم من كل ذلك ينبغي ألا نقع في اليأس وفقدان الأمل، فالانهزام النفسي يعني الاعتراف والقبول بالهزيمة مسبقاً. لكن الحيقية أنه لن يصيبنا إلا ما كتبه الله وقدره علينا.

والآية التي نوردها فيما يأتي تهدئ من روع المسلمين وتمنحهم الطمأنينة وتقوي إيمانهم. يقول الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١)

إن وظيفتنا الأساسية بوصفنا مسلمين هي التوكل على الله، والثقة التامة به، واللجوء إليه. إلا أن التوكل ينبغي أن يكون بعد القيام بالواجبات والوظائف والأعمال الملقاة على عاتقنا وبعد العزم والثبات.

إن التوكل المجرد من محاولة العمل، والسعي، وبذل الجهود المطلوبة ليس إلا تمنٍّ فارغ يناقض ما جاء به القرآن. ولا بد للمؤمن المخلص الذي يشعر بالمسؤولية أن يتساءل حول مدى الجهود التي بذلها في سبيل الارتقاء بالمجتمع عقيدةً وأخلاقاً، وفي سبيل تحقيق وحدة صف المسلمين، وعن الأعمال التي قام بها من أجل إطفاء نار الفتنة، وما مدى تضحيته براحته ولو حتى بالدعاء من أجل وقف شلال الدماء والإبادات الجماعية التي تحصل في بلاد المسلمين. أي ينبغي أن يعلم المؤمن بأنه ليس من حقه التوكل إلا بعد أن يستنفد كل الجهود والطاقات التي بين يديه سواء كانت مادية أو معنوية. والنداء الذي أطلقه الشاعر محمد عاكف أرصوي في هذه المسألة ذو معنى عميق إذ قال:

عندما قالت الشريعة: "اعمل" لم تعمل، وأدخلتَ الكثير من الخرافات باسمها.

الثقة بالله.. تجدها في
أولئك القوم الذين قيل لهم..
إن الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم.. ولكن ثقتهم بالله أكبر من
قوة أعدائهم وعدتهم.. فقالوا بعزة
الواثق بالله: حسبنا الله ونعم
الوكيل.. فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء.

وفوق ذلك أقحمت "التوكل" في المسألة، فحوَّلت بذلك الدين البريء إلى مادة للسخرية.

دع العمل وأْمُرْ من مكان جلوسك، ولا تتعَبْ، ما دام أن أجرَ المولى حسن.

سجِّل واجباتك حتى الصباح قبل الخروج من بيتك، واتلُ أعمالك واحدة تلوى الأخرى عند الانتهاء من دفترك

فإن ربي يرى كل أعمالك، فذلك وظيفته...

قد خفَّ حملك... أدخل الآن مباشرة إلى المقهى

الأهل والأولاد على الأرض من الجوع، أليس الهادي وكيل أمورهم، فتابع أنت لهوَك.

أليست خزائن إنعامه خزينة لك، فأَحِلْ إليه إذاً كل مصاريفك... فهو يعطيك

الله هو الذي يُعْمِل السلاح، والذي يحرس الحدود هو! انتهت عدتك، أليس كذلك؟ فهو يعوضك.

تحت إمرته جيوش من الملائكة، من أجلك أنت سوف يهزم الكفار.

هل ضاقت عليك الدنيا؟ يكفيك صوتك الحنون، قل: المدد! ليأتيكَ أو يرسلَ الخضر لك.

إن وُجد مريض في بيتك، دَيْنٌ عليه أن يرعاه، ويُسِيلَ الدواء من خزائن شفائه .

ينبغي للمؤمن أن ينفِّذَ كل واجباته، ولا يتردد لحظةً في التضحية المادية والمعنوية في هذه المسألة. وبعد كل ذلك ينبغي أن يترك النتائج لله تعالى ويرجو منه الثواب. وينبغي أن يلجأ إلى الله تعالى بعد أن ينفذ ما أمرَه به إذ قال:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا...﴾ (الطلاق: ٢)

﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤)

ولا يدع مجالاً لليأس في قلبه، ويكون على يقين بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له.

التسليم تسليماً كاملاً

روي أن الله تعالى قال لسيدنا لموسى عليه السلام:

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه، ٢٤)

فقال: «يا رب، أهلي وغنمي»،

قال الله تعالى مذكِّرًا إياه أنه خير الحافظين:

«إذا وجدتني فأي شيء تصنع بغيري؟ يا موسى، اذهب واعتصم، واستسلم لي، وفوِّض الأمور إليَّ، فإني جعلت الذئب راعيًا لغنمك، والملائكة حافظين لأهلك.

يا موسى، مَنْ أنجاك من اليم حين ألقتك أمك فيه؟

ومَنْ ردَّك إلى أمك بعده؟

ومَنْ أنجاك من عدوك فرعون حين قتلت نفسًا؟

ومَنْ أنجاك من المفازة حين فررت من فرعون؟».

وهو يقول في ذلك كله:

«أنت، أنت».[1]

١ أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص١٧٨.

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

الرؤيا أنواع

إن الرؤيا الصادقة هي إحدى الهبات الإلهية، وهي إحدى الطرق المعروفة والمقبولة في الاطِّلاع على الحقائق الغيبية، فخلال النوم يصل ارتباط المرء بعالمه المادي إلى أدنى درجة، وتزداد قوة أحاسيس الروح المحبوسة في البدن، وتجلو الرؤية حين تتبعثر غيوم الآفات النفسية التي تحجب التجليات السامية، وهكذا يستطيع بعض عباد الله الصالحين أن يشاهدوا عالم الغيب في رؤياهم، ثم يعرفوا صحة هذه الكشوفات بعد الاستيقاظ.

فعن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشِّرات**» قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**» (البخاري، التعبير، ٥)

أي هي البشارات والإلهامات والإيحاءات التي تنزل على قلوب المؤمنين المخلصين أثناء الرؤيا، وتصبح مكشوفة لهم. وقد سُئل رسول الله ﷺ عن قوله:

﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ (يونس، ٦٤)

فقال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له**» (الترمذي، الرؤيا، ٣)

والرؤيا ثلاثة أنواع:

١. الرؤيا الشيطانية: وهي الرؤيا التي يُلقيها الشيطان على الإنسان بغية إخافته، أو إيقاع قلبه في الهموم، أو جعله حزينًا، مثل رؤية الإنسان نفسه يسقط من مكان مرتفع، أو يرى الكوارث والاضطرابات التي تجعله تحت تأثيرها، ومثل هذه الرؤى لا أساس لها أصلاً، وتكون رؤى غامضة مختلطة لا يتذكرها الإنسان كاملة، ولا يجب أن يخبر عنها أحدًا، بل يلجأ إلى الله هربًا من إغواء الشيطان.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فلْيَستعِذْ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره**» (البخاري، التعبير، ٣)

ويقول رسول الله ﷺ في حديث آخر:

«**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**» (مسلم، الرؤيا، ٥)

٢. الرؤيا نتيجة التأثير الخارجي: وهي المشاهد المرتبطة بحال الشخص وخياله، والتي تنعكس على رؤياه، فالرجل الذي أكل طعامًا مالحًا كثيرًا قد يرى في رؤياه أنه يشرب الماء بكثرة، أو قد ينشغل المرء في ذهنه بمسألة فيراها في رؤياه، ومثل هذه الرؤى لا تعبير لها، فهي لا ترتكز على أساس.

٣. الرؤيا الصادقة: يمكن تَذَكُّر هذه الرؤيا بسهولة ووضوح، وهي تكون بشارة أو تحذيرًا من الله ﷻ، يلقيها قسم من الملائكة المكلَّفين بهذه المهمة -بعد تلقِّيها من اللوح المحفوظ- إلى الإنسان النائم بأمر وإذن من الله ﷻ.

عثمان نوري طوباش

حِكَمٌ من أولياء الله عزّ وجلّ

جعفر الصادق (رحمه الله) -٢-

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

" لا تصحب خمساً:

١) الكذاب: فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب يقرِّب منك البعيد، ويبعد منك القريب.

٢) والأحمق: فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضر بك.

٣) والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

٤) والجبان: فإنه يسلِّمك ويفر عند الشدة.

٥) والفاسق: فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، قيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها" (الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢، ١٧٢)

وجاء في الحديث الشريف:

"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل" (أبو داود: الأدب، ١٦/ ٤٨٣٣)

لا شك أنه ليس لأحد الخيرة في أبيه وأمه، والمحيط الذي يولد فيه. ولكن صداقته مع الآخرين من اختياره، فهو مسؤول عن اختياره هذا. والإنسان يخضع لتأثير أصدقائه في أحواله وأخلاقه، ويؤسِّس شخصيته وطباعه على ضوء هذه التأثيرات، وأكثر الناس يُسَاقون سواء إلى الطريق الصحيح أم نحو السلوك المعوج بتأثيرٍ من أصدقائهم، لهذا فإن تأسيس الصداقة مع أناسٍ مبتلين بضعف أخلاقي وإلقاء المودة إليهم يفسد الحياة المعنوية.

ويلفت جعفرٍ الصادق رحمه الله انتباهنا إلى هذه الحقيقة، إذ يحذِّرنا من الاقتراب من ذوي الأخلاق الفاسدة والسلوك المشين والاختلاط بهم، ويستثني من ذلك حالة واحدة وهي مخالطتهم بقصد دعوتهم إلى الإيمان وإبداء النصح والإرشاد إليهم. لأن المخالطة وحال الأنس مع أمثال هؤلاء تساعد على انتشار الخصال السيئة والأهواء النفسية بسهولة، ويكون تأثيرها على حسب ضَعْفِ إيمان الشخص، ومن أكبر مخاطر هؤلاء صفة الكذب.

لهذا فإن النبي ﷺ يقول في الحديث الشريف:

"إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً" (البخاري: الأدب، ٦٩)

والصدق صفة عظيمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في معرض حديثه عن الحساب يوم القيامة:

﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (المائدة: ١١٩)

فالصدق صفة ملازمة لشخصية المسلم، لا تفارقه، حتى إن المشركين كانوا يصفون نبينا الكريم ﷺ قبل البعثة بـ"الأمين" عوضاً عن اسمه، ويصفونه بالصادق، لأن الأمانة والصدق كانتا من طبيعة شخصيته، وصفتان ملازمتان له في سلوكه.

سُئِل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال النبي ﷺ: "نعم". فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: "نعم". فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال النبي ﷺ: "لا". (موطأ الإمام مالك: الكلام، ١٩. البيهقي، الشعب، ٤، ٢٠٧)

فالمؤمن غير معصوم عن الخطأ والانزلاق نحو المعاصي لطبيعته البشرية، ومع ذلك فإنه مهما تعرض لمواقف صعبة، وجارت عليه الظروف في الحياة، عليه الابتعاد عن الكذب، ولا ينبغي التخلي عن الاستقامة والصدق تحت أي ظرف. لذلك فإن النبي ﷺ لم يكن يخرج عن الحق وقول الصدق حتى في مزاحه، ولقد بلغ درجة عالية في قول الحق والصدق حتى إنه لمَّا سمع يوماً امرأة تنادي صغيرها قائلة: تعال إلي وانظر ما الذي سوف أعطيك إياه! سألها: "وما أردت أن تعطيه"؟ قالت: سوف أعطيه بعض التمر، فقال النبي ﷺ: "أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَت عليكِ كذبة" (أبو داود: الأدب، ٨٠/ ٤٩٩١؛ الإمام أحمد: مسند، ٣، ٤٤٧)

وينبغي ألا يغيب عن بالنا بأن الرجوع بالعهد، والإخلاف بالوعد، والخداع، والاحتيال، وغيرها من الصفات الذميمة، لا تفسد أخلاق الإنسان فقط، وإنما تؤثر سلباً في إيمانه. وفي ذلك يقول النبي ﷺ:

"لا إيمان لمن لا أمانة له" (الإمام أحمد: مسند، ٣، ١٣٥)

وقد أشارت أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂ إلى تأثير معصية الكذب في الفساد المعنوي الذي ينجم عنها في حياة الناس، إذ قالت:

"ما كان خلق أبغض إلى النبي ﷺ من الكذب، وما اطلع منه على شيء عند أحد من أصحابه فيخل له من نفسه حتى يعلم أن أحدث توبة" (ابن سعد: ١، ٣٧٨)

من معاني كلمة "المؤمن" التي تُطلَق اسماً مشتركاً على جميع مَن يؤمنون بالله الإيحاءُ إلى الناس بالثقة والأمانة، وأن من يتسمى بهذا الاسم هم أهلٌ للصدق والائتمان.

وانطلاقاً من هذا الأساس ينبغي ألا يغيب عن بالنا بأننا أمة النبي الذي سُمِّيَ بالصادق الأمين حتى قبل نزول الوحي وتكليفه بمهمة النبوة، وعلينا اتخاذه قدوة لنا في كل القيم الأخلاقية التي كان يمثلها. لأن النبي ﷺ قال:

"**المرء مع من أحب**" (البخاري: الأدب، ٩٦)

وهذه المعية ليست بالظاهر فقط، وإنما اتباعٌ للمحبوب في العمل والأخلاق. لهذا علينا التذكر دائماً بأننا بوصفنا مؤمنين ممثِّلون للأخلاق النبوية الحميدة التي اتصف بها نبينا ﷺ، وعلينا السير وفق منهاج هذه الأخلاق الإسلامية لإظهارها وتطبيقها على أرض الواقع. وعلى المرء ألا يكتفي بالالتزام بمبادئ الصدق والاستقامة، وإنما عليه الانتباه في اختيار الأصدقاء والأصحاب ممن يتصفون بهذه الأخلاق الحميدة.

أما الصنف الثاني من الناس الذي حذَّرنا جعفر الصادق من مصاحبتهم فهو صنف "الحمقى"، لأن الأحمق يضر بصديقه دون الشعور بذلك، وهو يظن أنه ينفعه. فحال الأحمق تشبه تماماً القصة التي يرويها لنا أحد الأولياء الصالحين: في أحد الأيام خرج رجل بصحبة عيسى عليه السلام، وبينما هم سائرون أبصر الرجلُ بعض العظام على قارعة الطريق، فقال لسيدنا عيسى عليه السلام متوسلاً:

– يا عيسى، علمني الاسم الأعظم الذي تعرفه حتى أبعث هذه العظام إلى الحياة.

فأجابه سيدنا عيسى عليه السلام:

– إن هذا العمل ليس من شأنك، إن من يحيي العظام ويبعث فيها الحياة بقراءة الاسم الأعظم ينبغي أن يكون صاحب قلب ونفس أصفى من ماء المطر، ومتعبد لله تعالى أكثر من الملائكة. والاسم الأعظم يتطلب فماً لم يذق لقمة من الحرام أو شبهة حرام، وقلباً مخلصاً صافياً من كل شبهة تبعده عن الله ﷻ، أي أن يكون هذا الإنسان صاحب نفس طاهرة لم تتلوث بلقمة من حرام، ومطيعاً لربه سبحانه وتعالى بعيداً عن المعاصي والآثام مثل الملائكة. لأن الدعاء لا يُقبَل ممن لا يتمتع بنفس طاهرة.

– ولنضرب لذلك مثالاً، إنك تستطيع الإمساك بعصا موسى عليه السلام بيديك، ولكن أتملك قوة موسى لتقلب العصا إلى حية... والذي تسألني عنه مثل ذلك، فما تنفعك قراءة الاسم الأعظم إن لم تمتلك نفساً كنفس عيسى؟

إلا أن الرجل الغافل لم يتوقف عند هذا الحد، بل قال لعيسى عليه السلام:

– يا عيسى، إن لم تكن لي تلك القدرة، فاقرأ أنت على هذه العظام!

فازدادت حيرة عيسى عليه السلام أكثر من كلام هذا الأحمق، وقال:

– أي رب! ما حكمة هذا الإصرار والعناد؟ وما سبب جنوح هذا الأحمق إلى الجدال إلى هذا الحد؟ إنه يسعى إلى إحياء جسد الآخرين بقلبه الميت، والأجدر به أن ينشغل بإحياء قلبه الميت؛ إنها لغفلة وحماقة محيرة!

> الأحمق ينصح الناس بالتعقل وهو أحوج ما يكون إلى العقل، وينصح الآخرين ويدعوهم إلى الالتزام بالعدالة والطريق الصحيح وهو أبعد ما يكون عن العدالة، وتائهٌ عن سواء السبيل. أي إن الأحمق شخص ميت القلب يعمل على إحياء قلوب الآخرين وهو غافل عن ذلك

إن أسوأ حماقة في هذه الحياة أمرُ كل إنسان ينظر حوله ويرى بوجه عبوس وبعيد عن التأمل الكونَ والمخلوقات حوله التي تدل بكل وضوح على قدرة الخالق، وتحمل آثار صنع الله ﷻ، ثم لا تحمله هذه النظرة إلى الاعتبار والحكمة. ومن أكبر الحماقات المفجعة الغفلةُ عن تجليات عظمة الخالق وقدرته الظاهرة في الكون. فعلى الرغم من التنظيم الدقيق والمتكامل الذي يحيِّر العقول ويُعجِز الخلق عن الإحاطة به، يدَّعي الغافلون عديمو البصيرة بأن هذه

الحياة والمخلوقات وُجِدَت بمحض الصدفة، ويرون أنفسهم كائنات عبثية كالحيوانات متحررين من كل مسؤولية أو واجب. ويقول الله ﷻ بحق هؤلاء:

﴿...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)

إن مَثَل هؤلاء الغافلين مَثل مَن يغطي عينَيه بأصابع يده، ثم ينكر بكل بساطة – هارباً من الحقيقة– وجودَ الشمس الساطعة في كبد السماء؛ فقد أعموا بصائرهم بغية إرضاء أهواء أنفسهم، وألقوا بقلوبهم في سجون الظلمات، لذلك فإن عقول الحمقى تفر من الأسئلة الكبرى التي تلح على الإنسان حول الكون والحياة، مثل:

"مَن خلق هذا الكون؟ وفي مُلك من نعيش؟ ولماذا جئنا إلى هذه الدنيا؟ وإلى أين نسير بعد هذه الحياة؟". فالفرار من التفكير بمثل هذه الأسئلة الكبرى والمصيرية في حياة الإنسان هو دائماً خيارهم الوحيد، إلا أن هذا الفرار وغفلة الإنكار لن تنجيهم من مواجهة الحقائق يوماً ما.

ومن الحماقة البحثُ عن الحقيقة في غير مكانها، أي محاولة الوصول إلى السعادة في موارد المهالك والتعاسة، وإجهاد النفس وتعريضها للسوء من غير طائل.

ومن الحماقات التي تدعو للشفقة انخداعُ المرء بالمظاهر والمتع الدنيوية الفانية نتيجة شهوات النفس، ثم تفضيلها على الحياة الأبدية في اليوم الآخر. حال هذا الشخص هي كما قال عمر ﷺ: "كمثل من باع آخرته بدنيا غيره" أي فقدان رضا الله ﷻ ونعيمه الأبدي نتيجة الانخداع بالمنفعة الزائلة من العباد.

ولا تورث صحبة من وقع في الحماقات والغفلة إلا الخسارة والمضرة، إذ لا فائدة تُرجَى من الأحمق، فمن الحكمة الحذر من صحبة أمثال هؤلاء.

وأما الصنف الثالث من الناس الذي يوصينا جعفر الصادق رحمه الله بالحذر منه في اختيار الأصدقاء والابتعاد عن صحبته فهو صنف "البخلاء".

إن أكبر الأخطار على الثروة أمران: الأول "الإسراف"، والآخر "البخل". أما الإسراف؛ فهو مظهر من مظاهر سيطرة النفس من أجل إشباع الرغبات الدنيئة، وأما البخل؛ فهو مظهر من مظاهر الخوف والجبن، إذ هو الوثوق بالمال بدل التوكل والاعتماد على الله في الرزق.

وقد بين الله ﷻ أن عباده الصالحين الذين رضيَ عنهم بعيدون عن هاتين الصفتَين الذميمتَين في قوله:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)

ويقول الله ﷻ:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

فالبخيل يسعى إلى جمع الأموال وتكديسها لنقص إيمانه وتوكله على الله ﷻ في موضوع الرزق، فالأرزاق مقسَّمة ومقدَّرة من الله تعالى، فيعتمد دائماً على ما لديه من الأموال لتجنب الفاقة والعوز. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في سورة الهمزة حيث يقول الله ﷻ:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة: ١-٧)

إن البخيل يرى ماله ضمانة لوجوده، لذلك فإنه لا يتوانى في التخلي عن أصدقائه في الشدة والضيق خوفاً من الإنفاق عليهم وفقدان ماله، أي إنه يقبل فقدان صديقه والتخلي عنه بكل سهولة في سبيل الحفاظ على ماله، لأن البخيل محروم من القيم السامية التي لا تُقدَّر بثمن، مثل الوفاء، والرحمة، والصداقة، والإخلاص.

والبخل صفة ذميمة، فهو مرتبط بكل الخصال السيئة وفي النهاية يورد الإنسان موارد التهلكة، وقد قال النبي ﷺ:

"البخل شجرة من شجر النار أغصانها متدليات في الدنيا، من أخذ بغصنٍ منها قاده ذلك الغصن إلى النار" (البيهقي: شعب الإيمان، ٧، ٤٣٥)

وأما الصنف الرابع الذي أوصانا جعفر الصادق بالحذر من مصاحبتهم فهو صنف "الجبناء"، لأن الجبان يتمتع بشخصية ضعيفة، وإذا ما تعرض لموقف صعب فإما يلوذ بالفرار ويترك صديقه لمصيره، أو يسلمه لعدوه. ومثل هذه الصفات المذمومة غير منسجمة مع الأخلاق الإسلامية، ولا مع حقوق الأخوة الدينية، حيث يقول النبي ﷺ:

"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه" (البخاري: المظالم، ٣؛ مسلم: البر، ٥٨)

والمسلم الذي يتمتع بإيمان سليم لا يخشى أحداً إلا الله ﷻ، وبذلك فإنه ينجو من العبودية للعباد.

ولقد كان النبي ﷺ القدوة والمثل الأعلى لأمته في كل شأن، كان يستعيذ بالله ﷻ في دعائه من الخوف والجبن، وكان عليه الصلاة والسلام يمشي في مقدمة الجيش في كل غزواته، فيُعلِّم أصحابه معنى الشجاعة والإقدام.

وقد روى لنا علي بن أبي طالب ﷺ أحد مواقف النبي ﷺ الكثيرة والذي يبيِّن إقدامه وشجاعته التي لا مثيل لها في ميدان المعركة، حيث يقول علي ﷺ:

"لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً" (الإمام أحمد: مسند، ١، ٨٦)

ونورد في هذا الموضوع مثالاً عن شجاعة الصحابة النابعة من إيمانهم الراسخ، والذي هو أحد الأمثلة التي لا تحصى عن شجاعة الصحابة، إنه الصحابي عبد الله بن أم مكتوم الذي تولى رفع الراية في معركة القادسية. (القرطبي: عبس، ١- ٤)

عندما حان موعد خروج الجيش إلى القتال، أراد ذلك الصحابي الجليل بإيمانه العميق الانضمام إلى الجيش والاشتراك في القتال، إلا أنه ﷺ كان أعمى العين، ولما سمع بإعفائه من الخروج والقتال بسبب عينيه، حزن هذا الصحابي الجليل. فأجابَ الذين أخبروه بإعفائه من الاشتراك في القتال بجواب بالغ الروعة إذ قال:

– إنكم ترون حالي، غير أنني أستطيع أن أنفعكم نفعاً عظيمًا لأنني أعمى، ذلك أنني إذا خرجت لم أرَ سيوف العدو، فحملت الراية وتقدمت الجيش. وعندما يراني المسلمون أتقدم إلى جيش العدو من غير خوف ولا وجل، ستزداد عزيمتهم ويكرُّوا على العدو كرَّة رجل واحد.

إن الشجاعة الإيمانية للصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم درسٌ رائع في البطولة والإقدام للمؤمنين المتمتعين بكامل صحتهم وقواهم، أما الجبن فإنه عكس الشجاعة، فهو ضعف يورد الإنسان موارد المذلة والمهانة، ومظاهر هذا الضعف تنعكس على

كل أحوال الشخص ومعاملاته؛ فالجبان لا يمكن أن يكون كريماً، لأنه يخاف على ماله من النقصان والوقوع في الفقر إذا ما أقدم على الإنفاق وتقديم الصدقات، لهذا لا خير في صحبة الجبناء لتأثيرهم السلبي في معنويات الإنسان.

أما الصنف الخامس والأخير الذي يوصينا جعفر الصادق رحمه الله بالحذر من مصاحبتهم فهو صنف "الفاسقين"، لأن الفاسق أسير نفسه، فهو شخص جذبته المعاصي، واستحكمت بحياته أهواءُ النفس وشهواتها، لذلك فإنه لا يتردد في بيع صاحبه والتخلي عنه مقابل أي منفعة أو شهوة نفسية صغيرة.

ويوصي القرآن الكريم بالالتزام بالحذر الشديد تجاه الفاسقين في الآية الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)

أي إنه لا يُؤمَن من الفتنة والفساد من الأمور التي يخبر بها الفاسق مما يبدو في الظاهر صحيحاً لرعونته ورغباته النفسية، لأن الفاسق لا أخلاق له، معتاد على الكذب، والافتراء، وتحقير الآخرين. ولهذه الأسباب لا يؤمَن النزول إلى البئر بحبل الفاسق، ولا يُؤخذ كلامه بالاعتبار، ولا يُوثَق بشهادته.

ومن جهة أخرى، فإن صداقة أهل الكفر مثل الفاسقين لها تأثير سلبي في الإنسان، وتورث القلب القسوة والظلم. وفي الحادثة التي نقلها لنا الإمام الرباني في أحد مكتوباته عبر كبيرة، إذ يقول:

"لقد زرت يوماً مريضاً، وكان على وشك الموت، وعندما حاولت إصلاح حاله والدعاء له وجدت قلبه غارقاً في ظلمات شديدة، فمهما حاولت وتوسلت لرفع هذه الظلمة عن قلبه لم تزل، وبعد المحاولات والتوسل تبين لي أن هذه الظلمات سرت إلى قلبه من أهل الكفر، وأن أساس هذه المحنة مصاحبة أهل الكفر. وبعد ذلك أدركت أن دفع هذه الظلمات بالتوسل ليس في محله، لأنه لم يبق لإزالة هذه الظلمات إلا عذاب جهنم، وهذا جزاء من يصاحب أهل الكفر ويواليهم.

ومعلوم أيضاً، أنه لا يُخلد في نار جهنم مَن كان في قلبه ذرة إيمان، وهذا الإنسان أيضاً سوف ينجو ببركة مقدار الإيمان في قلبه.

وبعد ذلك خطر في بالي السؤال الآتي: هل يُصلَّى على مثل هؤلاء الجنازة أم لا؟ فرأيت أن أداء صلاة الجنازة على أمثالهم أمر في محله، لأن هؤلاء الناس من المسلمين. فعلى الرغم من وجود الإيمان فيهم فإنهم يقومون باتباع أهل الكفر في عاداتهم ويقومون بتقديس أيامهم وما إلى ذلك، ومع كل ذلك يجب أداء صلاة الجنازة عليهم، فليس من الصواب أن نجعلهم ضمن زمرة الكفار... ولعل تمني نجاة هؤلاء من الخلود في العذاب الأبدي أمرٌ يؤمَل في نهاية المطاف". (الإمام الرباني: المكتوبات، ١، ٢٦٦)

نسأل الله تعالى أن يُلحِقَنا جميعاً بزمرة عباده الصالحين الذين أحبهم ورضي عنهم بفضله ولطفه وكرمه. آمين!

مصاحبة الفاسقين المرتكبين للمعاصي والآثام، والبقاء معهم والسير على طريقتهم في الحياة، واحدة من الصفات المهلكة التي تودي إلى نار جهنم مثلها مثل رفض السجود لله ﷻ، والظلم، والبخل، وقسوة القلب، وإنكار اليوم الآخر. وإذا كنا نريد أن نُحشَر يوم القيامة مع الصالحين والصديقين، فعلينا السعي لمصاحبتهم في الحياة، والاشتراك معهم في أحوالهم وعباداتهم، والحرص على الاقتداء بهم في المعاملات والأخلاق

من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

الحساب

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن رسول الله ﷺ قال:

"ليس أحد يُحاسَب يوم القيامة إلا هَلَكَ."

فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧ – ٨)

فقال رسول الله ﷺ:

"إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ" (البخاري: الرقاق، ٤٩)

المقصود بالعرض إما عرض الناس على الميزان لكي تُوزَن الأعمال، وإما عرض الأعمال على أصحابها. فمِن الثابت والمعلوم بنص الكتاب أن حساب المفلحين الذين يُطلَق عليهم اسم (أصحاب اليمين) سوف يكون يسيراً يوم العرض. فيوم يُعرَض أصحاب اليمين للحساب فإنهم يُبشَّرون بالغفران، وإلى جانب عرض خطاياهم وذنوبهم عليهم فإنهم سيطَّلعون على النعمة العظمى. وأما الحساب الذي لا يُقرَن ببشارة الغفران فيكون ثقيلاً وعسيراً. والمناقشة إما أن تُفضِي إلى العذاب عندما يتبين أن الكثير من الأعمال التي يُظَن بأنها لصالح العبد غير مقبولة، وإما أن يبلغ من خضع للمناقشة منزلة السلامة وقد تعادلت أعماله فتكون المناقشة بذاتها عذاباً له. (ترجمة التجريد الصريح: ١/ ٨٤)

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه:

١. رجل استشهد، فأُتِيَ به، فعرَّفَه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ: فما عملت فيها؟ قال الرجل: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال الله تعالى: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقَال جريء، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار.

٢. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن. فأُتِيَ به، فعرَّفَه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ له: فما عملت فيها؟ قال الرجل: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال الله ﷻ: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار.

٣. ورجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتِي به، فعرَّفه نعمه فعرفها. قال الله ﷻ: فما عملت فيها؟ قال الرجل: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال الله تعالى: كذبتَ. ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثم أُلْقِيَ في النار". (مسلم: الإمارة، ١٥٢)

من دروس
الشيخ موسى طوبّاش

الرِّبَا

عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ:

"من أعان بباطل ليدحض بباطله حقاً، فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله... ومن أكل درهم ربا فهو ثلاث وثلاثين زنية، ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به". (الطبراني: المعجم الكبير، ١١، ١١٤/ ١١٢١٦)

وعن أبي أمامة ﵁، عن النبي ﷺ وسلم، قال:

"يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون قد مسخوا خنازير، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها، حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببني فلان خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصباء حجارة كما أرسلت على قوم لوط، وأرسلت عليهم الريح العقيم فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر، وآكلهم الرِّبَا، ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم". (الحاكم: المستدرك، ٤، ٥٦٠/ ٨٥٧٢)

وورد ذكر هؤلاء الأصناف في حديث آخر:

- أربعةٌ حقٌّ على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها:

- مدمن الخمر،
- وَآكِلُ الرِّبَا،
- وآكل مال اليتيم بغير حق،
- والعاق لوالديه. (الحاكم: المستدرك، ٢، ٤٣)

عن سمرة بن جندب ﵁، قال: قال النبي ﷺ:

" رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت ما هذا؟ فقال: الذي رأيته في النهر آكِلُ الرِّبَا " (البخاري: الربا، ٢٠٨٥)

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

«اجتنبوا السبع الموبقات».

قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال:

- الشرك بالله،
- والسحر،
- وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق،
- وَآكِلُ الرِّبَا،
- وأكل مال اليتيم،
- والتولي يوم الزحف،
- وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (أبو داوود: جـ٣، ١١٥/ ٢٨٧٤)

أنتبه للأدب

عائشة آيتن غورصوي

الأدب تاج من نور الهدى
فضع ذاك التاج على رأسك تأمن من سائر البلايا...
فما نفع المدرسة والكتاتيب إن لم يكن لدى الإنسان أدب
فإنه وإن درس وصار عالماً فسيبقى من غير الأدب حماراً
فالأدبَ الأدبَ...

لقد صدَقوا القول وأصابوا الوصف، فالعبد ينبغي أن يكون قدوةً في الأدب قبل كل شيء، وأن تتزين أعماله بزينة الأدب. ينبغي أن يكون قادراً على نقل أعماله إلى حضرة الله تعالى بكل طمأنينة قلب.

ولكن ما بال المعاصي؟ نسأل الله أن يعفو عنا ويغفرها لنا...

أليس ارتكاب العبد للمعاصي من قلة الأدب؟

إن العبد الذي يعي ويدرك بأنه يعيش في كل لحظة من لحظات حياته بين يدي الله تعالى وتحت نظره يبذل جهده كي يكون في حاله تليق بالوقوف في حضرة ربه جل جلاله. وعندما يهُمُّ على ارتكاب ذنب حيث لا يراه أحد من الناس، فسرعان ما يتذكر الله ويقول في نفسه: "كما أن ربي سبحانه وتعالى يراني في أحوالي كلها، فإنه يراني في هذه اللحظة أيضاً، وهناك ملائكة عن يميني وشمالي تسجِّل ما أُقدِم عليه من عمل"، ثم يتراجع عن اقتراف تلك المعصية. إن المجاهَدَة للتحلي بالأدب تجعل حجاب الحياء بين العبد والمعصية، وتمنعه من ارتكاب المعاصي والذنوب.

لقد أساء الشيطان الأدب مع ربه سبحانه وتعالى، فكان جزاؤه الطرد من حضرة الله ﷻ. وهو الآن يبحث ويفتش في كل آن ولحظة عن صاحبٍ له. وطالما أن الله تعالى كافٍ للعبد، فلِمَ يورِّط العبد نفسه في صحبةٍ مع الشيطان البعيد عن الأدب؟

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

"سأل قلبي عقلي: ما الإيمان؟ فهمسَ عقلي في أذن قلبي قائلاً: الإيمانُ هو الأدب".

وعندما يُذكَر الأدبُ، فإن أول ما يخطر في بال الإنسان سيدُنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

لقد كان حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

"أكثرُ أصحابي شبهاً بي" وتشَرَّفَ بزواجه من ابنتَي النبي عليه الصلاة والسلام، حياءً لا مثيل له تذكره الألسنة إلى يومنا هذا.

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قدوةً من حيث شدة الإحساس بالحياء. وحتى الملائكة كانت تستحي منه، إذ بينما رسول الله عليه الصلاة والسلام كان جالساً وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وراءه، استأذن أبو بكر رضي الله عنه فأذن له فدخل، ثم استأذن عمر رضي الله عنه، فأذن له فدخل، ثم استأذن سعد بن مالك رضي الله عنه فأذن فدخل، ثم استأذن عثمان بن عفان رضي الله عنه ورسول الله عليه الصلاة والسلام يتحدث مضطجعاً كاشفاً عن ركبتيه، فعدل مجلسه ومدَّ ثوبه على ركبتيه، وقال لامرأته استأخري عني، ثم أذن له فدخل. فتحدثوا ساعة ثم خرجوا. فقالت عائشة رضي الله عنها:

- يا رسول الله، دخل عليك أصحابك، فلم تهتشَّ لهم ولم تبالهم، لم تصلح ثوبك على ركبتيك، ولم تؤخرني حتى دخل عثمان؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

- يا عائشة، ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟ والذي نفسي بيده، إن الملائكة لتستحي من عثمان بن عفان كما تستحي من الله ورسوله، ولو دخل وأنت قريبة مني لم يرفع رأسه، ولم يتحدث حتى يخرج. (انظر: مسلم: فضائل الصحابة، ٣٦)

لقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي يُعد قامة شامخة من قامات الحياء والأدب يعمل على إرشاد الناس في مسألة الحياء فيقول لهم:

"غض البصر عن المحارم خير حجاب للشهوة".

ينبغي للمرء أن يكون متأدباً مع ربه سبحانه وتعالى في كل حركاته وسكناته؛ في حديثه، ومشيته، ومجلسه، وقيامه، وقعوده. وينبغي أن نتفكر في سلوك نبينا وحبيبنا عليه الصلاة والسلام، لماذا لم يكن يضحك قهقهة، وإنما كان يبتسم؟ ولماذا كان يسير بوقار واضعاً نظره موضع خطواته دون أن يلتفت يمنة أو يسرة؟

وينبغي أن نتخذ صلاته وتلاوته للقرآن الكريم وطريقة حياته قدوةً لنا، لذلك يجب أن نتعلم الأدب ونعيشه حسب السنة النبوية، ونطبِّق هذه السُّنَّة في كل صفحة من صفحات حياتنا.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

" الأدب في العمل علامة قبول العمل".

فإذا ما نظر العبد إلى صلاته، وصومه، وإنفاقه، وعمله من هذا المنطلق، فسيستطيع أن يزن أعماله هذه ويعلم إن كانت قليلة أم كثيرة، فيصلح نفسه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا أدب "اليد، واللسان، والصلب".

- فأدب اليد البعدُ عن السرقة.
- وأدب اللسان تجنبُ الغيبة والنميمة، والابتعاد عن الكذب، والافتراء، والسباب والشتم؛ أي: (قول الخير أو الصمت).
- وأما أدب الصلب فهو تجنب الوقوع في الزنا والفواحش.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا جميعاً من الوقوع في هذه المعاصي، وأن يعيننا على أن نكون من عباده المتأدبين المتعفِّفين. آمين!.

أولوياتنا و أدبياتنا

د. فؤاد آكبنار

ينبغي أن يكون من أولوياتنا معرفة أن الله تعالى العلي القدير الذي خلقنا بشراً هو "الغفار" العفو الحق الذي نلجأ إليه في حال تشردنا في وديان السهو والنسيان، وعندما نهدر- بالخطايا الناتجة عن عجزنا وتقصيرنا- نعمتَي العمر والصحة اللتَين تُعدَّان من أسمى النعم التي أكرمنا بها، وحينما ننخدع بأهواء النفس ومكائد الشيطان فننساق خلف الشهوات؛ هو الذي يغفر لنا ذنوبنا بمقتضى اسمه الشريف "الغفار" إذا ما توجهنا إليه بطلب المغفرة من غير تكبر ولا إشراك.

وينبغي أن يكون من أدبياتنا دعوة النفس إلى فضيلة التذلل بين يدي الله تعالى وطلب المغفرة منه، بأن نقدر على القول:

"أيتها النفس الجانحة المذنبة والأنانية التي تجاوزت حدودها وذهبت تبحث عن غصن تتمسك به في متاهات الخطايا معتقدة أن السعادة تكمن فيها، تعالي فتذكري حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، واجعلي ظلام الليالي أنيسك، ثم التجئي إلى (الله الغفار) بقلب متذلل كسير، وبدموع تبلل سجادة الصلاة التي تكون ترجماناً للقلب الفيَّاض، وبسجدات الوصال على أعتابه طالبة منه العفو والمغفرة".

ينبغي أن يكون من أولوياتنا العلم بأن ربنا المتعالي صاحب القوة المطلقة والغالب المطلق هو "الله القهار" الذي أهلك في هذه الدنيا الكثير من الأقوام الظالمين، والطغاة، والمنحرفين، والضالين الذين نسوا عبوديتهم، فتجاوزوا حدودهم وظلموا أنفسهم والعباد، وعاثوا في الأرض الفساد، مغترين بالقوة والسلطة التي متعهم الله بها، وأعد لهم في الآخرة عذاباً أليماً في نار جهنم يدخلونها خالدين.

وينبغي أن يكون من أدبياتنا التوجه والالتجاء إلى "الله القهار" متعوذين به من مكائد النفس والشيطان التي تورد أبداننا وأرواحنا موارد الضلالات، ومن شرور الأشرار، راجين منه أن يفيض بنوره على قلوبنا، ويزيل الظلام الذي خيَّم على أرواحنا، وذلك بإيمان صاف لا شرك فيه، وبعمل مخلص وإن كان مشوباً بالتقصير، وبإدراك عجزنا والإقرار به، وأن نجهد لإصلاح أنفسنا.

وينبغي أن يكون من أولوياتنا معرفة أن "الله هو الوهاب" الذي أعد في هذه الدنيا للناس جميعاً دون تمييز بين المؤمنين والكافرين المنكرين، ولجميع المخلوقات التي أوجدها في السماء، والبر، والبحر، وحتى تلك الموجودة في العوالم التي لا ندري عنها شيئاً، أعد لهم جميعاً كل احتياجاتهم قبل أن يُخلَقوا، وتفضل بهذه النعم عليهم دون طلب ومن

غير مقابل، وزاد لمن طلبها أضعافاً مضاعفة. وينبغي أن يكون من أدبياتنا الالتزام بأدب طلب الحاجات من الله تعالى وحده، فنستحضر في قلوبنا وعقولنا التحذير الإلهي في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار:٦)

ونعتقد جازماً بأن الخير وسائر المطالب والاحتياجات المادية والمعنوية لا تُطلَب إلا من "الله الوهاب" لا من أحد غيره، مع الإدراك التام بأننا لا يمكن أن نؤدي ثمن أصغر نعمة من النعم الجليلة الكثيرة ولو أمضينا العمر كله في العبادة والطاعات، ثم نتضرع إليه ونطلب حاجتنا وكلنا أمل وثقة بأنه سوف يقابل طلبنا بأضعاف مضاعفة.

وينبغي أن يكون من أولوياتنا العلم بأن "الله الرزاق" هو الذي أكرمَ الإنسانَ الذي يعد أشرف المخلوقات بالأرزاق المادية والمعنوية، والذي أكرمه بنعمة القدرة على النظر والتفكر في الكون واستنباط الحكم منها، لكن هذه النعم كلها ترافقت بالتنبيه الإلهي:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)

وهو الذي تكفَّل بأرزاق المخلوقات الأخرى، وهو الذي نوَّعَ الأرزاق في أشكالها ومذاقها وألوانها التي تأخذ بالألباب.

وينبغي أن يكون من أدبياتنا التحلي بالمسؤولية وبذل ما أمكن من الجهد لأداء شيءٍ من الشكر بما يليق بالله الرزاق الذي أخبرنا نحن المخلوقات العاقلة المتفكرة بأننا لن نستطيع إحصاء النعم التي تفضل بها علينا، وأننا سوف نُسأَل عن هذه النعم لا محالة؛ والذي دلَّنا بمقتضى رحمته على كيفية البحث عن الرزق، وكيفية استعماله، والذي جعل الرزق أداةً للامتحان.

ملاحظة: تم إعداد هذه المقالة بالاقتباس من كتب الشيخ الفاضل عثمان نوري طوبَّاش ومقالاته، ومن كتاب (الأسماء الحسنى) للكاتب وصْلَت ترابي.

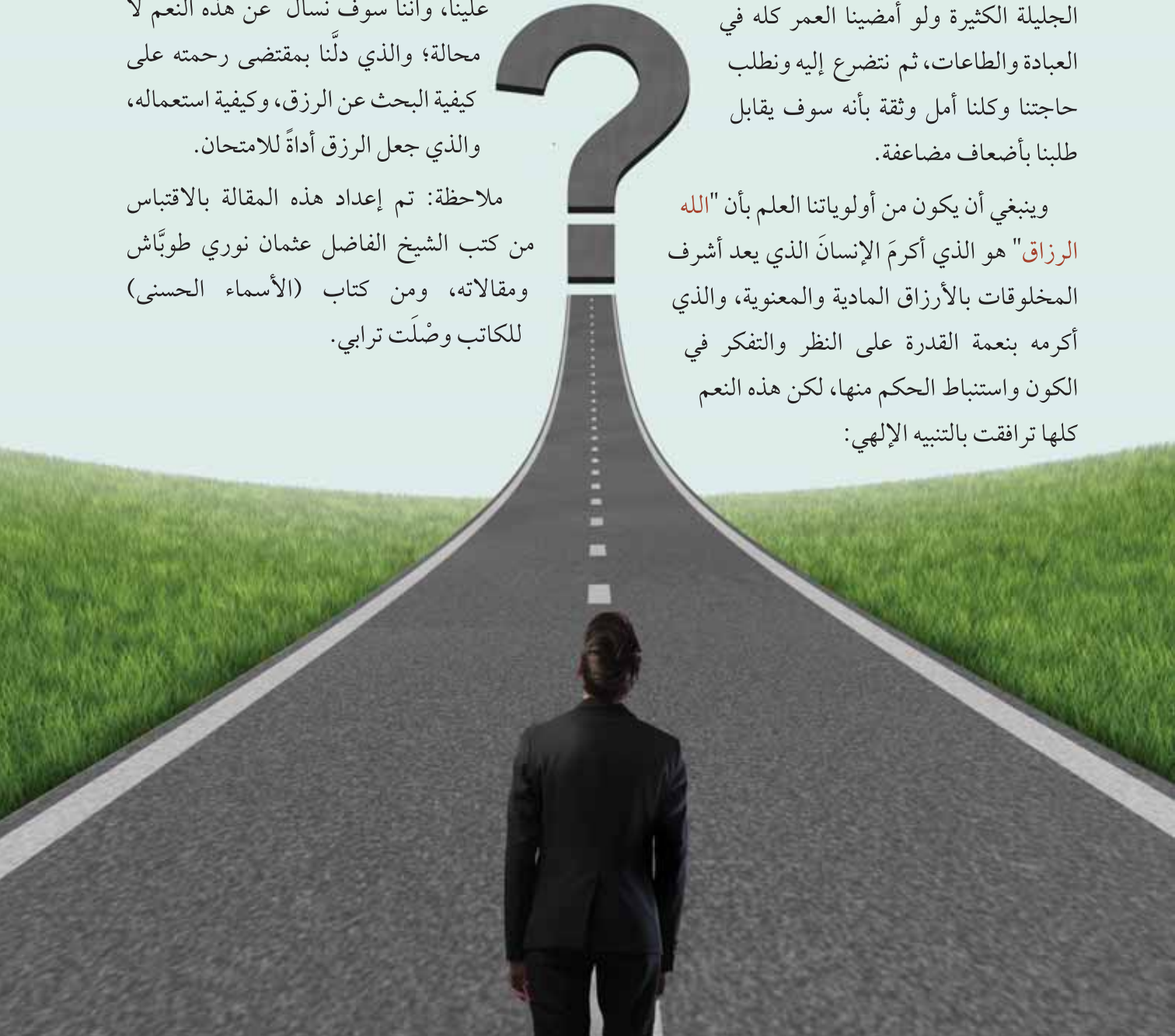

آدم سراج

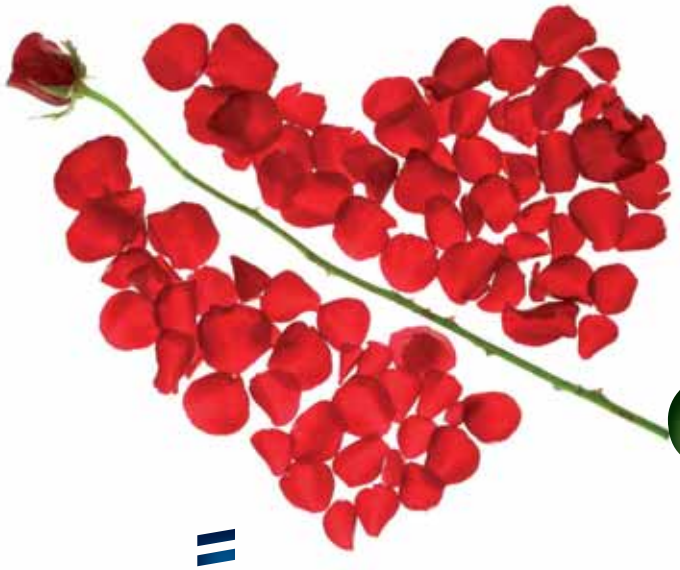

نحبه حباً جماً

لقد حوَّل النبي عليه الصلاة والسلام الذي أطل بوجهه المشرق على الدنيا المجتمع القاسي الذي عاش فيه إلى مجتمع فاضل، إذ أصبح الأشرار أخياراً، والأخيار زادوا خيراً وصلاحاً، وانتقل الناس من العداوة إلى الصلح والسلام، ومن النزاع والكراهية إلى المحبة والوئام.

لقد صار ذلك العصر بجهود النبي عليه الصلاة والسلام وجهود أصحابه الغر الميامين عصرَ السعادة بحق..

فهل أشرق ذلك النور بالنسبة لنا؟ وما الذي نمتلكه من ذاك النور الساطع؟

ألم يكن نبي المحبة والرأفة؟ إذاً؛ فما المقدار الذي نمتلكه في قلوبنا من تلك المحبة والرأفة؟ وهل النبي المتبسم يحب الوجوه العابسة المتجهمة؟ أليس صحيحاً أنه لا يحب الذي يحقِّر الآخرين؟ فلنبتعد عن استحقار الناس والاستخفاف بهم حتى يحبنا.

ينبغي أن تنعكس سيرة النبي ﷺ على أخلاقنا وعلى سائر أحوالنا، ينبغي أن تشرق على حياتنا كالشمس..

ينبغي أن يكون في كل شخص منا شيءٌ من سلوكه سواء على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الفردي، فإذا نظر إلينا أحد يعثر فينا على شيءٍ منه..

إننا جميعاً نعلم بأنه كان طاهراً نقياً، لذلك علينا أن نكون طاهرين. وأنه كان رمزاً للأخلاق الفاضلة، فعلينا أن نتخلق بأخلاقه. وكان الناس من حوله يسمونه "الأمين" لصدقه وأمانته التي ليس لها مثيل، فعلينا أيضاً أن نكون أمناء وصادقين.

لقد كان في غاية النشاط والانتظام والانضباط، لذلك علينا أن نكون أيضاً بغاية النشاط والانتظام والانضباط.

تُرى هل يمكننا القول بأنه روحنا وفؤادنا وكل شيءٍ نمتلكه؟ ألا يجب أن تنعكس سيرته على كل شيءٍ في حياتنا كي نستطيع قول ذلك؟

لقد كانت أحواله وتصرفاته الجميلة والفاضلة عالية؛ فأخلاقه الحميدة، وعمله للخير، واجتهاده ونشاطه، وصدقه، واستقامته ليست مقتصرة على عصر معين، ولا منحصرة بزمن محدد، لأنها فضائل مستمرة وصالحة لكل زمان ومكان.

فإن كان الأمر كذلك فدعونا نكون لائقين به، فلنعمل بجد ونشاط، ولنستكثر من القراءة، ومن القيام بأعمال الخير، ولنكن أمناء وصادقين وملتزمين بالاستقامة.

دعونا نظهر فائق الاحترام والإحسان إلى الكبار في السن وعلى رأسهم الوالدين، ونتبع نصائحهم وتوجيهاتهم، ولنعطف على صغارنا وعلى رأسهم إخوتنا، ونكون سنداً وعوناً لهم.

علينا أن نكثر من قراءة الكتب وعلى رأسها كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ.

علينا أن نؤدي عبادتنا وعلى رأسها الصلوات في أوقاتها، بأحسن صورة.

علينا أن نحب بكل مشاعرنا وأحاسيسنا نبينا ﷺ الرؤوف بنا، لأن له مقاماً ومكانة عظيمة عند الله ﷻ، فهو رسوله وأحب عباده إليه..

لقد رفع الله شأن نبيه، وأمرنا أن نرفع شأنه. فينبغي أن يكون لنبينا ﷺ مكانة مميزة لدينا...

هل ندرك ما معنى أن يحبنا الله ورسوله؟

علينا أن نسعى للقيام بالأعمال التي ترضي الله ورسوله، وأن نبتعد عن الأعمال التي لا يحبها الله ورسوله، لكي نكون جديرين بأعلى مستوى من محبتهما.

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة بأعماله، وسلوكه، وسائر حركاته وسكناته. وإن كنا نحبه بحق فإننا سوف نحاول الاقتداء به في سائر أحوالنا وأعمالنا.

وبإذن الله سبحانه وتعالى سوف يكون كل واحد منا المسلم القدوة المليء بالمحبة، والذي يتحلى بالأخلاق السامية في كل زمان ومكان، ويلتزم بالاستقامة والأمانة والصدق في القول والمعاملة، ويتمتع بالرقة واللطف واللين، والذي يبدي فائق الاحترام والتقدير للشيوخ، ويظهر أسمى مشاعر الحب والعطف على الصغار ويبادر إلى مساعدتهم.

ينبغي أن نبتعد عن الخطايا والسيئات سواء الفكرية، أو القولية، أو الفعلية، وعن سائر الشرور والخبائث؛ وعلينا أن نبادر إلى شتى الأعمال التي تتسم بالخير والصلاح، ونشرع الأبواب لكل ما فيه فائدة ونفع للناس.

إن الذي يحب النبي ﷺ بحق لا يتوانى لحظة عن القيام بكل ما أحبه وأوصى به، والذي يحبه بحق لا يعمل فقط من أجل نفسه، وإنما يحاول أن يعمل على قدر استطاعته من أجل الناس جميعاً، أو على الأقل يمتلك الإحساس بالمسؤولية تجاههم.

يبشِّرنا الله تعالى بالرأفة والمحبة العظيمة التي يحملها النبي عليه الصلاة والسلام تجاهنا. ويبشِّرنا النبي عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم بنفسه بمحبته الكبيرة لنا، وبرغبته الشديدة باللقاء بنا في الجنة يوم القيامة.

فهل هناك بشارة أعظم من هذه بالنسبة للإنسان المسلم؟

إن لنا نبياً يحبنا محبة تفوق الوصف، ويريد اللقاء بنا حتى في الجنة. فإن كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن نبادله هذه المحبة بمحبة مثلها، فنُقدِم بكل حب وسرور على القيام بكل ما أمرنا بفعله، ونتجنب ما نهانا عن فعله، وذلك لأننا نحبه حباً جماً.

أمانة الحزن

نسليهان نور تُرك

يا مَن تقتدين بالسيدة خديجة!
أهديكِ هذا المقال، يا مَن تلفها الحزن في كل لحظة!

سوف نتطرق اليوم إلى موضوع دقيق مهم لم يخلُ في عصر أو مجتمع، ولا يزال قائماً، وسيستمر كذلك في المستقبل إلى ما شاء الله. لذلك وقبل كل شيءٍ استقصينا عن معنى اسمه قليلاً، واختصرنا تعريف الكلمة وفق الآتي لفهم الموضوع بشكل أفضل: الأرمل: هو كل شخص فقد زوجته أو زوجه. ويُفهم من هذا التعريف أن صفة الأرمل لا تقتصر على النساء فقط، وإنما تُستخدم بحق الرجال أيضاً.

الفقدان يكون أحياناً بالموت، وأحياناً أخرى بالافتراق والطلاق. وبغض النظر عن السبب فإن هذا الفقدان مُرٌّ ومؤلم ومزعزع لكيان الإنسان. ولا يغيِّر من هذه النتيجة القاسية إن كان من ترمَّل رجلاً أو امرأة. إذ عندما يُكسَر الجناح فإن أقوى الطيور يقع جريحاً مكابداً الألم.

إن الإنسان الذي يتمتع بسلامة وعقل سليم لا يمكن بحال من الأحوال أن يُسَرَّ بنهاية زواجه الذي بدأه مع حبيبه بنيَّةٍ صافية وحسنة. فهذه حقيقة تشمل جميع الناس، ولا يغيِّر في الأمر بعد ذلك إن كان الشخص رجلاً أو امرأة.

والفراق يأتي أحياناً بالأجل، وأحياناً بالجدال والتنازع.

فأما الفراق الذي يقع بالأجل، فإنه يتحول إلى حزن عميق تعجز الكلمات عن وصفه، وإلى نار متقدة يصعب إطفاؤها، فتكوي القلب وتحرقه. ثم يعتاد المرء على هذه الحال، ويعيش هذه الحرقة في ظلال هذه الحياة وكأنها طبيعية.

وأما الفراق الذي يحدث بالتنازع فإنه يتحول إلى انكسار وكمد لا ينتهي، وإلى جرح عميق يعسر تضميده، إذ يبقى نازفاً... وفي نهاية المطاف يعتاد المرء على حاله، ويعيش حزنه داخل تيارات الدنيا الجارفة وكأنه مشاعر يومية معتادة.

عندما يأوي كل إنسان إلى منزله ويغلق دونه الأبواب، وتنقطع الأصوات، ويسود الصمت المطبق في الأنحاء، وتحيط به الوحدة من كل جانب، تتحول ابتسامته إلى دموع، وتخيم الكآبة على قلبه. ذلك أنه هوى في حال مناقضة لفطرته الإنسانية، لا سيما إن كان لا يزال شاباً لديه أطفال صغار، عندها يزداد الأمر صعوبة. وليس الأرامل الذين تقدم بهم العمر بمنأى عن ذلك، فهم أيضاً يشعرون بمرارة وآلام مختلفة. والعامل الذي يلعب الدور الحاسم في حياتهم إنما هو أبناؤهم البالغين. فهؤلاء الأبناء يعارضون بشدة الزواج الجديد متذرعين "بعدم الإساءة إلى ذكرى أبيهم أو أمهم" لكن هاجسهم ودافعهم الحقيقي هو الخوف من انقسام الميراث. ثم يسوقون مجموعة من المبررات التي تنسجها لهم أنانيتهم ليُظهِروا صحة موقفهم، فيقول الواحد منهم مثلاً: "ما الذي ينقصك يا أبتي/ أمي، ألسنا نقوم برعايتك وإدارة شؤونك، ألا نغسل ملابسك وننظف بيتك، ألا نهتم بك ونزورك بين الحين والآخر؟". والحق أنه ليس هناك أمر طبيعي أكثر من رغبة الإنسان الأرمل بالزواج مرة أخرى بغض النظر عن العمر. فطلب الزواج من حقه، لا بل حتى من واجبه تجاه نفسه، لأن الزواج من جهة درع سليم وواقٍ من كثير من الفتن والمعاصي، ومن جهة أخرى فإنه مثل الميناء المحمي الذي يحقق الطمأنينة والسكينة القلبية.

إن الذي لا يستطيع الحصول على الطمأنينة والسرور في بيته إنسانٌ تعيسٌ. فالروح لا تسعد بالمنصب والمال والمهنة، وإنما تسعد بالعلاقة مع الرفيق الحميم، وبالنظرة المليئة بالإشفاق، وبالكلمة الطيبة. فالكثيرون الذين يحققون النجاحات الباهرة في مختلف الأعمال والمجالات اليوم لا يتذوقون طعم السعادة الحقيقة إذا لم يوفَّقوا إلى زواج سعيد. والسعادة الظاهرة عليهم ما هي إلا فرحة ناقصة مريرة المذاق.

فالرجل يشعر بنقصان كبير إن لم يكن لديه امرأة مليئة بالفرح والطمأنينة والحنان، والتي إذا ما عاد من عمله متعباً مرهقاً مادياً ومعنوياً وجدها قد رتبت أمور المنزل على أتم وجه، واستقبلته ببشاشة وترحاب، والتي تقوم بإعداد الطعام بشعور العبادة، وتنشغل بكل رضا وإخلاص بتربية أطفالها. وبالمقابل فإن المرأة تعاني كثيراً وتتعرض لامتحان شاق إذا لم تحظَ برجل يقوم بتأمين قوت بيته، ويدير شؤونه الخارجية، ويشعر بالمتعة لدى الإشراف على تأديب أبنائه وتلبية حاجاتهم، ويُشعِرها بالأمان والطمأنينة في المواقف الصعبة والخطرة.

الفراق يأتي أحياناً بالأجل، وأحياناً بالجدال والتنازع. فأما الفراق الذي يقع بالأجل، فإنه يتحول إلى حزن عميق تعجز الكلمات عن وصفه، وإلى نار متقدة يصعب إطفاؤها، فتكوي القلب وتحرقه.
وأما الفراق الذي يحدث بالتنازع فإنه يتحول إلى انكسار وكمد لا ينتهي، وإلى جرح عميق يعسر تضميده، إذ يبقى نازفاً

من المؤسف أن الإنسان الأرمل يتحول إلى مادة للسخرية لدى الذين لا يبرعون سوى في الغيبة. إذ كم من أناس قد حُمِّلوا فوق أحزانهم وآلامهم ومصاعبهم ثرثرةَ المحيطين بهم. فتجد الكثيرين يُفرِحُون الشيطان بكلامهم الذي يتفوهون به- بقصد أو بغير قصد- عن الأرمل. وتجد بعضهم يبالغ في الظن لدرجة تدعو إلى الحيرة والدهشة، فتراه يقول عن المرأة الحزينة التي صارت أرملة: "لقد قتلَتْ زوجها". وترى بعضهم يقول عن الرجل الذي ظل وحيداً في هذه الدنيا: "لقد وضع امرأته في نهاية المطاف داخل القبر". ومنهم من

يقول: "لو أنها كانت تقيم في بيتها كما ينبغي لما تركها زوجها". وتجد آخرين يقولون: "لقد كانت على علاقة برجل آخر"، فيضاعفون خطاياهم أضعافاً مضاعفة.

غير أن مجتمعنا لسبب ما يُحمِّل المرأة الأرملة من الأثقال أكثر مما يُحمِّله للرجل الأرمل. ويفعل المجتمع ذلك من خلال سوء الظن، وتركها وحيدة، والنظر إليها نظرة الريبة. ومنهم من ينظر إلى المرأة الأرملة نظرة المتاع، ويظن بأنه يستطيع أن يفعل بها كل ما يرغبه ويريده. وهذه النظرة الدونية تمنحهم الجرأة على النظر إليها بشيءٍ من اللامبالاة، مع أن كون المرأة أرملة في الحقيقة ليس ذُلاً.

إنك لتجد الكثيرين قد صار هاجسهم وشغلهم الشاغل في غالب أوقاتهم مأكل السيدة الأرملة، وملبسها، وتحركاتها. وإنك لتعجب أشد العجب من أسئلة الذين لا يخطر ببالهم سؤال: "هل لديك طعام يا أختي؟"، فيسألون أسئلة أخرى تتجاوز كل الحدود.

هناك أمر عجيب آخر ينبغي أن نذكره وهو: تصور النساء المتزوجات بأن السيدات الأرامل مصدر "خطر". ويَظْهَر هذا التصور ويتطور بشكل أكبر لدى السيدات المعقَّدات وغير الواثقات بأزواجهن. فهذا الصنف من النساء يبقى متوجساً، ويسيطر عليه التفكير باستمرار بأن هناك من يتربص بأزواجهن ويريد أن يختطفهم من أيديهن، وما يثير هذا الخوف العجيب يكون في الغالب النساء الأرامل. لذلك على الرجل الذي يود تقديم المساعدة للسيدة الأرملة أن يقدمها بواسطة زوجته، أو أمه، أو ابنته، كي لا يترك مجالاً لسوء الظن وإثارة الشبهات.

إن السيدة الأرملة وإن كانت قد تثير أفكاراً وتخيلات مريبة لدى الذين اختل تفكيرهم، إلا أنها تُعَد لدى المؤمنين الذين يعقلون ويفكرون بقلوبهم أمانةً في أعناقهم. فينبغي أن نكون مجتمعاً يرعى هذه الأمانة حق رعايتها، وأن نتذكر الأمر الآتي: لو أعطَيتُم الأرملةَ ملءَ أكياس ذهباً، فإنها تبقى حزينة ومكسورة. فلنحرص أن نكون ممن تدعو لهم هذه الحزينة لا ممن تدعو عليهم.

وعلى كل من يقطن بجواره سيدة أرملة أن يبذل جهده ليكون ممن تشملهم البشارة الواردة في الحديث النبوي الشريف:

"الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله" (الترمذي: البر، ١٩٦٩) وأن يجعل الأرملة طريقاً إلى الجنة لا إلى النار.

ومن المؤسف أننا نجد بعضاً من الناس يضطرون للإسراع في اتخاذ القرار وحسم الأمر، ثم ربط مصير حياتهم بأشخاص غير مناسبين على الإطلاق، إما للتخلص من الضائقات والأعباء المادية، أو من الأضرار التي لا يمكن تصورها للنيات السيئة، أو من الإشاعات التي لا نهاية لها للمتطفلين، أو من المتاعب الكثيرة الأخرى التي يجلبها الترمل. وقد نجد آخرين يؤسِّسون عشاً زوجياً ثانياً بسعادة بالغة مع أناس صادقين التقوا بهم وكأنهم كانوا هديةً مقابل المشقات والصعاب التي تعرضوا لها سابقاً.

وصفوة الكلام أن هؤلاء "الأرامل" الذين تعرضوا لامتحان الحرمان من رفقاء حياتهم بأسباب وأشكال مختلفة إنما هم امتحانٌ للمجتمع. وأصحاب العقل السليم هم من لا يخسرون في هذا الامتحان من خلال التطاول على هؤلاء بالغيبة ونشر الأقاويل السيئة والنيل من حقوقهم، وإنما يتسابقون للفوز في هذا الامتحان من خلال مد يد العون للمحتاجين من هؤلاء، والالتزام بحدود الشرع والأدب.

وفي الختام أنهي حديثي بالدعاء التالي: اللهم إنَّا نسألك أن ترزق جميع المحرومين أزواجاً صالحين يكونون لهم سعادة في الدارين، وأَدْخِل الوفاق والسرور بينهم كل حين، واجعلنا لهم إخوة صالحين في الدين. آمين يا رب العالمين!

المنهج العقلي للقرآن الكريم

إبراهيم أرباجي

إن عبارة "لعلكم تعقلون" التي تتكرر في القرآن الكريم تذكيرٌ للإنسان بموقفه أمام الله تعالى وأمام المخلوقات التي أوجدها عندما يرى الحوادث في الكون. فالله سبحانه وتعالى من خلال هذا التذكير يوصي بالتفكر في هذه المخلوقات، وهذا التفكر يكون بإعمال العقل مع أخذ القلب بعين الاعتبار.

والقرآن عندما يدعو الإنسان إلى إعمال العقل، لا يوصيه بتفكير عشوائي عبثي، وإنما بتفكير استقرائي. وهذا التفكير يبدأ بأصغر ذرة في الكون إلى أعظم نظام ضوئي في الفضاء. لذلك فإنه يؤكد بأن التفكير يكون بشأن كل كائن في الدنيا، من البذرة التي على وجه الأرض، إلى الجنين الذي في أحشاء أمه، وإلى الحشرة التي تصير موضوعاً للوحي.

وكذلك فإنه يدعو إلى تفكير الإنسان بذاته إلى جانب حسن التقدير الذي أضافه الله على خلق الإنسان:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٣)

ويضع القرآن لنا آلية التفكير الصحيحة بقوله:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤)

وهذه الآلية هي بلوغ الحقيقة من خلال التفكر بالمخلوقات.

أي إن القرآن عندما يدعو الإنسان إلى التعقل أو إعمال العقل، فإنه يريد منه أيضاً التعقل من خلال الآلية التي وضعها. وبذلك يُخلِّص الإنسانَ أيضاً من متاهة المصطلحات وطرائق التفكير الخاطئة التي نجدها منتشرة في هذا العصر وعصور سابقة. وعندما يقوم القرآن بهذا الأمر، فإنه يقدم أمثلةً من الحوادث الواضحة والممكنة الإثبات بيسر، ويتواصل مع إدراك الإنسان وفهمه، لأنه يهدف إلى التأثير في مخاطَبيه بالأمثلة التي لا تنفك عن الحياة اليومية، ومثال ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

ينبغي أن نعلم بأن معرفة الحق لا تكون إلا من خلال النظر والبحث بالطريقة التي أوصى بها صاحب الحقيقة ذاته. والقرآن عندما يبيِّن محتواه فإنه يؤكد بأن أصح الأمور هو السبيل الذي أشار إليه بنفسه:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)

وهناك حقيقة ينبغي ألا تغيب عن بالنا أبداً وهي أن الفلسفة المجردة يمكن أن تُكذِّب الاستنتاجات التي توصلت إليها في الأمس بما تثبت صحته اليوم. والأمر كذلك بالنسبة للعلوم الطبيعية، إذ إنها قد تدحض ما أثبتت صحته في الأمس من خلال المعطيات والدلائل التي تتوصل إليها اليوم. ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الدين- الأديان عامة والإسلام خاصة - بشكل من الأشكال، فالدين استقرار وثبات. والذي يتَّبع ديناً يحافظ على حيوية إيمانه من خلال بقاء أوامر ذلك الدين ونواهيه حية، وهذا يمكن تحقيقه بتناول الضلالات والانحرافات والأفكار التي تظهر بمرور الزمن من خلال فلسفة العلوم الدينية. ووجهة النظر هذه بصورة خاصة تكون على شكل جعل أوامر الدين ملائمة لفهم المجتمع الذي اختلفت تطلعاته ذهنياً ومادياً، وليس بإجراء تجديد في الدين ذاته أو ما يعرف "بالإصلاح الديني".

والحق أن القرآن جعل التسليم القلبي مؤشراً على قوة الإيمان. لهذا فإنه يذكر في كثير من المواضع النظر بالقلب، والتفكير بالقلب، ويربط تفكير الإنسان، وتذكره، وتدبره بالتفكير القلبي، وذلك بقوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

حتى إنه ظهر خلال التاريخ الإسلامي جماعة من الناس وصفوا الشرق بالقلبي والغرب بالعقلي، وعللوا ما ذهبوا إليه بظهور الأنبياء من الشرق والفلاسفة من الغرب.

ما يدعو للأسف اليوم أن هناك الكثير من المغالطات والضلالات، وعلى رأسها تلك المتعلقة بمشاكل الإنسان. ولكن القرآن يقف بعيداً عن كل هذه، ويعمل على إيراد أمثلة ملائمة لفهم الإنسان ومستساغة لإدراكه، ويقول في معرض إيراده هذه الأمثلة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)

وبذلك فإن القرآن الكريم يبيِّن لنا بأن الحقيقة ليست أكثر من المسؤوليات التي ألقتها الدنيا التي نعيش فيها على عاتقنا، ويوصينا بضرورة النظر بحكمة إلى الأشياء الخارجة عن نطاق عقلنا وإدراكنا.

ويخبرنا القرآن بعدم ضرورة ذهاب الإنسان بعيداً بشأن أي مسألة من المسائل، وأنه يستطيع تحديد موقعه أمام خالقه حتى من خلال التأمل بالخصائص الخلقية للإبل.

أي إن القرآن يخبرنا بأن الشيء الذي يبحث عنه الإنسان لا يكمن في الحياة العلمانية وفقاً للمفهوم الرأسمالي المنتشر اليوم؛ وإنما يكمن في نور القرآن. وأول رسالة يوصلها إلينا ويعلِمُنا بها هي أن المعقول ليس ما يستنتجه الإنسان ويستدل إليه، وإنما المعقول هو الخطاب القرآني.

إن الإنسان المعاصر الذي يحاول اللحاق بركب التقدم يواصل ليله بنهاره من أجل الأشياء التي عدَّها

من حاجاته العصرية الضرورية. وعندما لم ينل شيئاً في النتيجة، لم يزدد إلا تعاسة وضيقاً. إننا نحشر أنفسنا في امتحان غير ضروري ولا مطلوب في ساحة هذه الدنيا، لأن ثقافة الإنتاج والاستهلاك ليست من الأولويات التي يضعها القرآن بين أيدينا. ومما يدعو للأسف والأسى أننا لم نعد نعرف ما النعمة الحقيقية، ولا أي نعمة تحمل القيمة الأهم.

غير أن القرآن يخبرنا بأن فيه منطقاً سليماً مثل وصفة طبية لتنظيم حياة الناس الدنيوية والأخروية على حد سواء. لهذا فإنه يقدِّم أمثلة عن حياة ضمن قوانينه التي وضعها تلائم سائر الكائنات في الأرض والسماء. وفي هذا السياق يرى أنه من غير اللائق التدخل في قانون التطور الطبيعي للفرد، ويرى أنه من غير المشروع الإخلال بنظام الحياة لحيوان ما. إذ إنه عندما يتحدث عن الحكمة الكامنة في الحيوانات، يشير بأنه جزء لا يتجزأ من هذه الأرض. ويُذَكِّر الإنسان بأن الدنيا ليست ملكه وحده فقط، ويقدم أمثالاً من الطبيعة والسماء والأرض، ويأمر باستهلاك النعم بطريقة واعية ورشيدة.

ويشير بالأسلوب ذاته إلى الإنسان وحُسن خَلْقِه، ثم ينصح الإنسان الذي يمتلك جسماً سيبلى يوماً ما وعمراً سينقضي، بأن يستثمر حياته وجسمه وعقله في سبيل الحياة الباقية التي وُعِد بها؛ لذلك كله يوصي الإنسان دائماً بالتفكر وإعمال العقل.

وإذا أردنا أن نربط الموضوع بحديث نبوي شريف فإننا نورد الحادثة الآتية:

ذات يوم زار أمَّ المؤمنين عائشة ﵂ رجلان من الصحابة، فقال أحدهما: حدِّثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ. فقالت أم المؤمنين ﵂:

"أتاني رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي عز وجل؟ قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يُسِرُّك. فقام فتطهر ثم توضأ، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجره، وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، ثم بكى ساجداً حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أفلا أكون عبداً شكوراً، وما لي لا أبكي، وقد نزلت عليَّ الليلة آية ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ".

فيشير الحديث الشريف إلى أن أصح شيءٍ هو التفكر، ولكن التفكر المتعقل المنطقي، وبهذا التفكر يدرك العبد مدى صغر حجمه وشأنه في هذا النظام الكوني العظيم، ويفهم عجزه وفقره، فيهدم قلاع الكِبر التي أشادها، ويفرغ قلبه من العجب والغرور، ويُعِد الأرضية اللازمة لبث الله تعالى رحمته في ذلك القلب.

وكما أن مياه الأمطار تتجمع في البِرَك، فإن رحمة الله أيضاً سوف تتجمع باستمرار في قلب العبد الذي عَقِل وعمل بما عقله، ثم عرف مكانه وموقعه في الكون.

وصفوة الكلام أنه إذا ما أردنا إيجاد تركيب بين مكونات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى، فإننا ننطلق من نكتةٍ لجُحَا، عندما قال لرجل جاءه وقد فقد إبرته في الظلام: "اذهب وابحث عنها في النور"، فنقول: إن إرشادات سائر الأديان المنتشرة في العالم التي تعرضت للتحريف والتشويه ما هي إلا ظلام. والبحث مجدداً عن وجودها لا يكون في الظلام، وإنما ينبغي أن يكون على ضوء نور القرآن، فالقرآن قد أرى هذا النور للذين آمنوا به وعقلوه، وما يزال يريهم وسيبقى كذلك.

أين؟

دورمُش كوج

تبدأ الحياة بصوت وبنَفَس. إنها قدوم بصرخة، ولادة ببكاء، رعشة، تحسر، بعث غامض. ممر دقيق من حياة إلى حياة أخرى. صنعة عجيبة بديعة، وأمر معجز. ممر سري يربط عالم العدم مع عالم الوجود.

هجرة من عالم صغير إلى عالم عظيم. أسرار في أسرار، حكمة في حكمة، غموض بغموض، أمر في غاية العظمة. إنها حياة قاسية فانية غريبة لا تُدرَك بالعقول، ولا تمنح الأمان للإنسان أبداً، تُثقِل القلوب مع كل شهيق وزفير، لا تنتهي مرتفعاتها الشاقة، وممراتها المتعرجة. حياة وقتها قصير قِصر الصحوة من حلم، والغوص في منام. خط المشي عليها أحدُّ من السيف، مليء بالصخور المعيقة، متغيرة في كل لحظة، ولا تعرف آلامها ومعاناتها نهاية، وفاؤها قليل، وجفاؤها وفير. أحياناً تتعثر ثم تنهض وتمضي، وأحياناً تقف مندهشاً محتاراً. تبكي تارة، وتضحك تارة أخرى؛ وحيناً تفكر، وحيناً يسرح بك الخيال، ثم يحدوك الأمل والرجاء. أحياناً تتراقص روحك للقاء الأحبة، وفي أحيان أخرى تهوي في حال لا تطاق، فتمضي صارخاً متألماً. إنك تخرج من قلوب بعض الناس بسرعة البرق، وتدخل في قلوب آخرين دخولاً من غير خروج. تذوب مثل الشمعة التي تحترق وتذوب، وتهترئ كما يهترئ كل جديد. وفي كثير من الأحيان تقلب أعمالك وشؤونك رأساً على عقب مثل الساعة المعطَّلة التي ترن في غير أوقاتها. ستصل ليوم لن يهتم بك مَن كنتَ تهتم بهم، ولن يمر بك الذين أحببتهم، ويدير لك الآلاف ممن أجزلت لهم العطاء ظهورهم. وتصبح يداك المرتجفتان المتعطشتان للرحمة والشفقة ألعوبةً للذين انتُزِعَت الرحمة من قلوبهم. عندما تقف عاجزاً في مأزقك، سوف تتابع بعين دامعة وبقلب كسير كل

ما جرى والحيرة والدهشة تعلو وجهك. إنك لن تفلح بإقناع أحد حتى لو صدعت بالحق، وأجهشت بالبكاء، وضربت برأسك الصخور. فما أكثر الجموع التي تسير ضمنها وحيداً كسير القلب مطأطأ الرأس. فكما أن الناس الغرباء ينظرون إليك نظرة ملؤها العجب والدهشة والغرابة، فإنك كذلك سوف تنظر إليهم بغرابة وتمضي في سبيلك. فماذا أنت فاعل بمن لا يراك، ولا يفهمك، وما يفتأ يتهرب منك؟

إنك لن تنظر في غالب الأحيان إلى المرايا الحزينة التي تُريكَ نفسك. ولن تعرف من تصادق، ومن تعادي. وحتى إن صادفت أمامك يوماً أهل القلوب الذين يفهمونك، فإنك سوف تمضي دون أن تبالي بهم. حتى وإن تركتك آلام الصمت والوحدة والوحشة عاجزاً فإنك سوف تمضي دون كلل، وتسير نحو هدفك. فماذا يمكن أن تفعل لإنسان شحيح الفهم، ضيق الأفق؟ سوف تنظر إلى مرآة الحياة التي تحدق بك ثم ستبكي بحرقة وألم. سوف تتعلم الصبر، وفي كل يوم يمر عليك ستعرف الصبر أكثر. سوف تشعل عود الثقاب على كل ما فقدته وتمحوها من دفتر الأمل بكل ألم ومرارة. إن ما يربطك بالحياة وصل إلى مرحلة وداعك، وإنك تمضي من وحدة إلى وحدة أشد منها. إنك في غالب الأحيان سوف تُدفَع، وتُزاحَم، وتُحاط بدائرة الغدر، ثم تنتهي وأنت تتحرق من داخلك. فإلى أين؟ وكيف؟ ولمَ ينبغي أن تتشبث؟ إن تموجات الحياة، وزوابعها، وعواصفها، وطوفاناتها، وكوارثها، ومتاهاتها، ومدها وجزرها، وممراتها المتعرجة، ورياحها العاصفة المريعة تبقى قائمة ولا تنتهي. والأسئلة التي حاولت حلها سوف تصبح ألغازاً معقدة وتمضي. والسلالم التي صعدت عليها من أجل التسلق سوف تنهار تحت قدميك. والوجوه المتبسمة سوف تُصفِّد يديك وقدميك مثل سلاسل الخيانة. والأعداء الذين يبدون أصحاباً سوف يدفعونك إلى الجروف والمنحدرات، وإلى حقول الألغام. يكادون من القلة لا يكونون خندقاً للاستقامة ولا مهداً للحقائق. إن الإنسان سوف يتقلب في الخطيئة والكذب مثل البطة التي تسبح مضطربة في الماء. فعندما تصدأ مرآة الأدب، وتغرق مرآة الكمال في الأوحال، وتتكسر مرآة المحبة والتقدير والاحترام، وتغبرُّ مرآة الإنسانية، وتتصدع مرآة الصدق والثقة، فإن الآلام والمصائب والكوارث سوف تتوالى تترى ولن تنتهي أبداً. سوف تحترق أحشاؤك، ويكتوي قلبك وأنت تصرخ وتستغيث، وتبكي والدموع تنهمر من عينيك مثل زخات المطر، ولن يكون هناك من يراك، أو يسمعك، أو يعلم بحالك. إنها حياة تبدأ عند النزول بيأس إلى ساحل العجز، وتكوي الإنسان دائماً بآلامها وأكدارها، حياةٌ متأرجحة ومتمايلة مثل قارب صغير تلطمه أمواج البحر الهائجة. حياة تحن في الشتاء إلى الربيع، وفي الربيع إلى الشتاء، وتراقب الطرقات بآلام الحسرة والشوق في القلوب، حياة معقود مصيرها بخطوط القضاء والقدر، حياة لا ينتهي

أملها وخوفها، ووهجها واضطرابها، وحزنها وألمها أبداً... إنها ميدان المعاناة والمحن حيث نتصارع فيه بضراوة مع أنفسنا أحياناً، وأحياناً مع الآخرين، وفي أحيان أخرى مع رغباتنا وأمانينا. إنها ساحة امتحان حيث تشتد فيها الوحدة والعزلة، والخداع، والتخلي، والتعرض للإهانات. حياة تكوي بعضهم، وتقذف ببعضهم إلى وديان الحيرة والارتباك، وتدع آخرين ليتجاوزا العقبات والصعاب. ومع ذلك كله فإن رحلة الحياة مستمرة بخطى حثيثة، وتسقط كل يوم ورقة من تقويم العمر، والناس ماضون إلى نهاياتهم الحتمية فإما إلى النجاة والخلاص، وإما إلى الهاوية.

لا نجد أثر الرحمة، ولا ذرات المحبة، فأين الذين يحبون ويشتاقون لبعضهم في الله؟ وأين الذين يتقاسمون اللقمة بينهم؟ وأين الذين يبكون سوياً في الأتراح، ويضحكون سوياً في الأفراح؟ أين هم؟ أين؟ سيوف الحقد والكراهية والثروة والشهرة تُغرَس في ظهور المظلومين والغرباء وتُعلَن الولائم والاحتفالات. تُغرِّد الألسنة كالبلابل وتنشد قصائد عذبة، ولكن الورود بائسة ذابلة شاحبة. يتدفق نهر الأمل إلى الفراغ، وتجري ينابيع الرحمة إلى المجهول، ويستمر نزيف جراح القلب دون توقف.

لم تعد غيوم العشق تجود بأمطارها، ولم تعد زهور الهيام تتفتح كسابق عهدها، وما عادت أمواج المحبة تتراقص مهتاجة سعيدة. صار التمسك بالحياة في غاية الصعوبة. فعواصف الظلم، والتهجم، والخوف، والتهديد، والاضطهاد تعصف بشدة في الدنيا. وما فتئ الذين فقدوا الرحمة والشفقة يقطعون حبال نجاة المظلومين، والغرباء، والتائهين.

بعضهم يطفئ شمعات الصداقة والصحبة، وبعضهم يُذكي نار العداوة والبغضاء. الدنيا تدور بلا توقف، والأشجار تيبس، والناس تموت، وهناك كثير من الناس يصارعون صراع الوجود في عالم العدم. ومطرقة الزمن تهوي ضاربة الماضي والمستقبل بلا هوادة ولا شفقة. فلم يعد هناك معذرة ولا عزاء. تتقادم الطموحات والآمال مثل الساعات التي بليت وعفا عليها الزمن. وبينما ننادي لنتمسك بالحياة، فإن كل الأمور التي تمسكنا بها تنسل من بين أيدينا، ثم تتركنا وتغادر. فكما أن النار المتوهجة تنطفئ وتتحول إلى رماد، وكما أن الشمس المشرقة تشرق ثم تغيب، فإن الحياة كذلك تضع حداً لكل رغباتنا وطموحاتنا. فيودع ما حصَّلَه الإنسان في كفيه ثم يمضي.

من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الصديق حتى يكون صديقاً صالحاً: الوفاء - الأمانة - والصدق - والبذل- والثناء - والبعد عن ضد ذلك من الصفات.

والصداقة إذا لم تكن على الطاعة فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، قال تعالى:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

طاعة رسول الله ﷺ
على ضوء الآيات القرآنية

د. كريم بولادي

تُعد طاعة النبي ﷺ فرضاً على المؤمنين جميعاً. وقد أشار القرآن إلى ضرورة طاعة النبي ﷺ بصيغة توكيدية. ويقرن الله ﷻ طاعة رسوله مع طاعته في كثير من الآيات القرآنية، إذ يطلب من المؤمنين بعد إطاعته أن يطيعوا النبي ﷺ. ولم يفرق القرآن بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، وعَدَّ طاعةَ النبي ﷺ طاعةً لله، حتى أنه بيَّنَ بأن عصيان النبي ﷺ عصيان لله ﷻ، إذ قال الله ﷻ:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٤)

ومَن أطاع رسول الله يكون قد اتبع أمر الله تعالى، إذ يقول المولى ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)

فالله تعالى قد جعل طاعة النبي ﷺ من شروط الإيمان. ذلك أن النبي ﷺ يأمر الناس بطاعة الله ﷻ وحده، فإذا أطاع الإنسان رسولَ الله ﷺ وتمسك بأمره يكون قد أطاع الله ﷻ. وقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ عندما كان في المدينة قال:

"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله" (البخاري: الأحكام، ١؛ مسلم: الإمارة، ٣٢ – ٣٣)

فصار المنافقون يسخرون من النبي في هذه المسألة ويستهزؤون به، فأنزل الله الآية الآتية تصديقاً لقول رسوله:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠)

وقد وردَ في أحد التفاسير في مسألة الطاعة المبينة في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أن أطيعوا الله تعالى في أمور الفرائض، وأطيعوا الرسول في أمور السنن، وجاء في تفسير آخر: أطيعوا الله تعالى في المسائل التي أُمر بها ونُهي عنها في كتاب الله، وأطيعوا الرسول في المسائل التي أمر بها ونهى عنها في سنته".

من واجب المؤمنين إطاعة النبي ﷺ في المسائل التي فسَّرها، وبلَّغها، وفي أقواله وأفعاله وإقراره؛ ذلك أن أقواله وأفعاله في مسائل الدين إنما هي بوحي من الله. ويُعد اتخاذ الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر للنبي ﷺ قدوةً لهم من أهم الأمور التي أمرهم به القرآن الكريم. ولا يمكن أن يتخذ الإنسانُ النبيَّ أسوةً له من غير طاعته؛ فمن يحبه يطيعه، ويرتبط به، ويسير على نهجه. ولا يمكن أن يحقق المسلم محبته للنبي ﷺ بلا طاعته واتباع سنته.

وقد ورد في آيات كثيرة أن الذين يطيعون الله ورسوله سوف يفوزون فوزاً عظيماً، ويدخلون الجنة:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٩٢)

﴿...وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١)

فنفهم من هذه الآيات الكريمة أن المؤمن لا يستطيع أن يحقق الفوز في هذه الدنيا الفانية، وينال السعادة الأبدية في الآخرة إلا بطاعة الله ورسوله. ولا يستطيع أن يحيا حياة إسلامية من غير طاعة رسول الله؛ فالقرآن الكريم يُفهم ويصبح كتاب حياة من خلال السنة النبوية.

حبيب المخلوقات

نظراتك بالشفقة والرحمة دواء لكل داء
كل مخلوق في هذه العوالم
عاشق لنورك يا مَن جماله دواء لكل داء

عبد الله كول جمال

الحمد لله رب العالمين صاحب القدرة اللامتناهية الذي خلقَ سائر الكائنات من عدم، وجعل خير المخلوقات أحبَّ الخلق إليه، والذي زيَّن السماء بالشمس والقمر والنجوم، وأغدق علينا بنعمه الظاهرة والباطنة ما نعجز عن إحصائها وأداء شكرها.. والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ..

مهما تحدث المتحدثون، ومهما كتب المؤلفون عن مرشد البشر من الأزل إلى الأبد، فإنه يبقى قليلاً...

ومهما قيل وكُتب وبجميع لغات العالم في مدحه والثناء عليه، وفي بيان فضائل أخلاقه، وحميد خصاله، فلن يوفَّى حقه، ولن يُحاط بفضله...

ومهما بالغنا بالثناء عليه فإننا لا نضيف شيئاً على سمو شأنه، وشرفه، وقدره، ومقامه؛ وإنما يكتسب كلامنا وأقلامنا شرفاً وقيمة بالحديث عنه، وذلك لأن الذي مدحه وأثنى عليه إنما هو الله بذاته العلية.

سوف يبقى ذكر اسم ذاك اليتيم المبارك الذي أطلَّ على العالم كموسم الربيع، فحوَّل الدنيا بجماله إلى حديقة من الزهور، مع اسم الله الجليل إلى يوم المحشر.

فكلما نطقنا بكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" رافضين بذلك جميع الآلهة والأهواء التي تصادفنا، نكون مصدِّقين ومُقرِّين بوحدانية الله تعالى وبرسالة حبيبه. وحينما أعلنا كلمة الشهادة: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"، نكون قد شهدنا بوجود الله ووحدانيته، وبأن سيدنا محمداً ﷺ عبدُ الله ورسوله.

لا تخلو لحظة في هذه الدنيا وعلى مدار أربع وعشرين ساعة من صوت الأذان المحمدي الذي يُعد دعوة إلى الله، لذلك فإن ذكر اسمه المبارك سوف يتكرر مع اسم ربنا ﷻ في كل لحظة من لحظات حياتنا، ويبث فينا السلام والسكينة والسعادة والبركة.

لم يخلق ربنا من الكائنات ما يدانيه في الجمال، فحتى الزهور قد اقتبست منه طيبها وزهو ألوانها، لأنه محبوب معبودنا، لأنه رحمة للعالمين، لأنه سبب وجود الإنس والجن وسائر الكون. إن سيل الموت المتدفق سيجرف معه أسماء سائر سلاطين الدنيا، وملوكها، وأمرائها، ويزيل ذكرهم من الوجود، إلا أن اسم سيد الخلق سينتقل من لسان إلى لسان، ومن قلب إلى قلب حتى قيام الساعة.

لقد كان سيد العالمين قدوةً، وعاش حياة إنسان بسيط ذي شخصية سامية فياضة بالخير والعطاء، إذ مدَّ يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين، والأرامل، واليتامى، ووضع جناح الرحمة والشفقة فوق الضعفاء والمحرومين، ولم يؤذِ حتى الذين أمعنوا في الإساءة إليه وأذاقوه شتى أنواع العذاب، ومختلف ألوان الأذى.

إن الزهور والورود التي تتفتح في كل فصل إنما هي الصلوات الشريفة التي تصليها الفصول عليك.

لقد كانت حياته حياة الهداية الشاملة- بمبادئها ومقاييسها الدقيقة- لسائر العصور، والمتجاوزة لحدود الزمان والمكان بالخصال الجميلة والصفات الرفيعة التي تمتع بها من ولادته حتى يوم رحيله إلى الرفيق الأعلى، وكانت سيرته خريطة طريق،

وعلامات سوف ترشد الناس على مر العصور، وتوصلهم إلى بر الأمان والنجاة. لذلك فقد أشار ربنا ﷻ في القرآن الكريم إلى هذا الجانب من حياته إذ قال:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٩)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

كلما صادف المرء في هذه الدنيا خُلُقاً حسناً أو جرى الحديث عن خُلُق حسن، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أحسن الخلق خُلُقاً سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم. وليست هناك كلمة أو عبارة يمكن للإنسان بها وصف جماله وحسن أخلاقه.

يقول الشيخ مصطفى عاصم كوكسال:

"إن تحديد محاسن ذاك الجميل الذي خلقه الحق سبحانه وتعالى ووصفه (بالحبيب) فوق طاقة البشر".

وهاهو الشاعر نابي يدعونا إلى التأدب في حضرة النبي ﷺ بقوله: "إياكم وترك الأدب، فهذا مكان محبوب الله تعالى، ومحل نظر الإله، ومقام المصطفى".

ويقول ولي الله يونس أمْرَه:

"أهيم على وجهي باحثاً، لعلي أعثر له على أثر، فأمرغ وجهي في غباره".

ويقول أصحاب العقول:

"إن العاشق الذي لا يحبك أكثر من نفسه وروحه لا يكون إنساناً في عالم الحقيقة يا رسول الله".

فكل هذه المشاعر إنما هي باقة زهور متنوعة تصف الجمال، وهي الحقيقة المتجلية في عالم القلب والروح.

يا رسول الله:

- صدَّقنا وآمنا بأنك رسول الله.
- صدَّقنا وآمنا بالكتاب الذي أُنزل عليك من ربك وبلغته لنا.
- صدَّقنا وآمنا بأنك خاتم الأنبياء والرسل.
- صدَّقنا وآمنا بأنك صاحب أحسن الأخلاق.
- صدَّقنا وآمنا بأنك لا تنطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى إليك من ربك.
- صدَّقنا وآمنا بما صدقت وآمنت به.

اللهم إنا نقف على أعتابك بأياد فارغة ووجوه مسودة، إذ لم نعبدك حق عبادتك، ولم نكن الأمة التي تليق بحبيبك ونبيك، فاغفر لنا واعفُ عنا يا أرحم الراحمين.

هل ندرك قيمة الكنز الذي في بيوتنا؟

الأستاذ: جمال نار

إن كل عمل نقوم به، وكل حديث ندلي به، وكل ما نكتبه بهدف الاطلاع على الأحداث الكبيرة في التاريخ باسم الفهم والتفسير الصحيح والمناسب لليوم، له أهمية كبيرة من حيث تحوله إلى لبنة في عملية بناء المجتمع الإسلامي من خلال إعادة الإحياء من جديد.

لا ريب أن حبيبنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام هم الأسوة الحسنة في عملية إعادة الإحياء والبناء هذه. والذين يقومون بتلك العملية يعيشون بشكل ما الحياةَ التي كانت سائدة في عصر رسول الله، وإن كانت هناك ظروف مختلفة أو أخرى مشابهة. لذلك عندما نقوم بإيجاد الحلول لمشاكلنا، نرى في ذلك العصر المبارك "أنموذجاً تطبيقياً" مع مراعاة اختلاف الظروف والأحوال. والأمر المهم في هذه المسألة إنما هو الكفاءة والقدرة التي تمكننا من الاستفادة من تلك التجربة.

من المعروف أن السنة النبوية تُعدُّ مصدراً أصلياً للتشريع والأحكام في ديننا الحنيف مثلها مثل القرآن الكريم. والسنة هي كل ما يصدر عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو إقرار. فيُعد سكوت النبي عليه الصلاة والسلام الذي لا يسكت على خطأ أو سوء، تجاه حالة معينة إقراراً لها.

إن القرآن الكريم يبعث عند الحديث عن أمر ما برسالة إلى الناس جميعاً وفي كل العصور حتى عند بيان قصة ما، فمثلاً نحن لا ننظر إلى الآيات التي تتحدث عن قصة قارون، أو قصة أهل الكهف، أو قصة أصحاب الأخدود، على أنها قصص صارت من الماضي وانتهت، بل نتوقف عندها ونتأمل بها كأنها تخاطبنا اليوم، ونحاول استخراج والأحكام، والأخلاق، والمنهج منها. والأمر كذلك بالنسبة لعصر النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام، فهو ليس عصراً تاريخياً انتهى تأثيره، وإنما هو مصدر للمبادئ التي سوف تثري حياتنا وتكسبها حيوية. فبعض الحلول التي تضعها السُّنة وتطبيقات الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ما تزال حلولاً صالحة

للمشاكل السائدة في عصرنا الحالي المتعلقة بالعقيدة، والتشريع والأحكام، والأخلاق، والمنهج.

وأي تفكير بعيد عن هذه النظرة يُعد من التفكير المساوي بين علم الحديث والسير والتراث التاريخي، وهذا يعني بدوره إضاعة الحل الإعجازي الذي بين أيدينا. ويُشكل هذا الأمر وبالاً شديداً علينا جميعاً، وفي الوقت نفسه يُعد إهانة وخيانة عظيمة.

يُعد عصر رسول الله حياً بالنسبة لنا في كل وقت وزمان، وهو النبع الذي يغذينا دائماً. ويُعدُّ علم السيرة أساس حياتنا، فينبغي لنا الإكثار من قراءته والاطلاع عليه وتعلمه. فهو الذي سوف يمهد لنا الطريق عندما نفتقد حلولاً حتى لأبسط المسائل. وعندما نتعرض في هذه العصر للعوائق والأذى والمظالم الكثيرة، فإننا نستطيع تجاوز مستنقعات اليأس التي يمكن أن نقع فيها، ونتغلب على فقدان الأمل بالتعرف على تلك الحياة "حياة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام".

وأحياناً نتعرض لحالات تدفعنا إلى الكدر، والغضب، والثوران، وإطلاق التهديدات هنا وهناك، أو ننكسر فننطوي على أنفسنا، فنَجرَح ونُجرَح. ففي هذه الحالات عندما نتوقف فجأة مع أنفسنا ونتساءل: هل حدث شيءٌ من هذا في عصر رسول الله؟ وإن كان قد حصل ذلك، فكيف تم تجاوزه؟ عندما نفكر بهذه الصورة فتتدفق المعلومات إلى ذاكرتنا من ذلك العصر، نبدأ بالضحك على أنفسنا. وذلك لأنه عندما ندرك بأن ما تعرضنا له لا يساوي حتى مقدار أذن الجمل بجانب ما تعرضوا له، فإن حالتنا تدعو إلى الضحك والتهكم.

حالة القلب لدى فعل الخيرات

يروي الشيخ موسى أفندي(رحمه الله) الحادثة الآتية: كنَّا في سفر مع الشيخ سامي أفندي، وفي بلدة أورغوب أوقف رجل حافلتنا وطلب مالاً كي يشتري سجائر، ومع أن بعض المسافرين أبدوا معارضتهم بصمت، قال الشيخ سامي أفندي: «بعد أن طلب منَّا فعلينا أن نعطيه»، فلبوا طلبه. فسُرَّ الفقير بذلك وقال مبدِّلاً نيَّته: «يمكنني الآن أن أشتري خبزًا بهذا المال»، وابتعد عنهم.

العِبرة:

فقط عليك أن تخلص النية حين تعمل العمل، وتنظر إلى قلبك، ولا تنظر إلى مَنْ تقدم له خدمتك. إن السلوك والمعاملات حين تكون لرضا الله تعالى وحده، تؤثِّر في قلب الـمُخاطَب، وتُحسِّن أخلاقه، لذلك لا بُدَّ أن يتذكر الإنسان دائمًا أنَّ حالة قلبه أكثر أهمية من حالة قلب المحتاج أثناء فعل الخيرات. فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:

«قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على سارق، فقال: اللّهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على زانية، فقال: اللّهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّق الليلة على غني، فقال: اللّهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأُتي فقيل له: أما صدقتُك على سارق فلعلَّه أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله» (البخاري، الزكاة، ١٤؛ مسلم، الزكاة، ٧٨)

المجنون وعلاج القلب

ذهب أبو يزيد البسطامي إلى الطبيب قاصدًا العلاج، فسأل: «يا طبيب، هل عندك علاج لمرضي؟

فأجاب الطبيب: «ما مرضك؟»، قال: «مرض الذنب»، ففتح الطبيب يديه معربًا عن يأسه، وقال:

«لا أعلم علاجًا لمرض الذنب».

في تلك الأثناء مرَّ مجنون بهم، فقال: «يا سيدي، أنا أعلم علاج مرضك»،

فسُرَّ البسطامي وقال: «هاتِ ما عندك» فقال:

«خذ بعشرة دراهم جذور توبة، وبعشرة دراهم أوراق استغفار، ثم ضعها في مهراس القلب، ثم اطحنها بمدقَّة التوحيد، ومررها بمنخل الإنصاف، واعجنها بالدموع، ثم اطبخها في موقد العشق، ثم كُلْ من هذا المعجون خمس ملاعق كل يوم، حينها لا يبقى أثر لمرضك».

وبعد أن سمع أبو يزيد البسطامي هذا الكلام تنهد وقال: «واأسفاه على مَنْ يظن نفسه عاقلاً، وأن عارفًا مثلك مجنون».

العـــــــــــــــــــــــــــــــبِرة:

كم هم كثيرون أولئك المغمورون من عقلاء المجانين وأطباء العارفين، لا يبالون بمظهر ولا مخبر، ولا يشغلهم نظر الناس إليهم ولا قول الناس فيهم، مثلهم كمثل أويس القرني الذي لم يأبه له قومه، وتركوه يكلأ مطاياهم ويحرس متاعهم بينما الخليفتان صاحبا رسول الله عليه الصلاة والسلام يَجِدَّان في البحث عنه ليدعو لهما عملاً بوصية النبي عليه الصلاة والسلام.

وتعكس هذه القصة من ناحية أخرى بركة الأمر الإلهي في قوله تعالى:

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة، ١١٩).

فقد فهمنا من قصة هذا الشاب العارف أن الوصفات القلبية الصادرة عن الصالحين كافة تقدِّم شفاءً لأمراض معنوية كثيرة، وبذلك تربط القلوب بالحق تعالى بصورة نقية طاهرة حيَّة، ونرى أن طلب البسطامي علاجًا لقلبه مع أنه صاحب قلبٍ حيٍّ يقظ ما هو إلا مظهر من مظاهر تواضعه، وطريقة يعالج فيها قلب الطبيب الذي كان عنده.